
القناص المحترف
٤
عملية باروخ
مجدى صابر
Looloo
www.dvd4arab.com

طراز خاص من المقاتلين ..

ورجل مخابرات لا مثيل له .

إنه (القناص المحترف) ..

فقط اقرأ لكى تندهش وتتمتع بمغـامرات بطل من طراز فريد . وأحـداث مثيرة لاهثة مذهـلة . ومقاتل لا شبيه له .. لا يعرف اليأس أبداً .. ولا الهزيمة ..

بطل ستقرأ مغامراته وبطولاته فى كتاب مميـز - أيضا - لا شبيه له فى أى مكان .

مجـدى صـابر

الفصل الاول

عملية الطير المهاجر

توسطت الشمس قلب السماء فوق الشاطىء البديع على سواحل جزيرة (رودس) وانعكست اشعتها فوق صفحة المياه ، وجعلته يبرق على البعد ويلتمع ، كمرآة مصقولة ، تنحدر فوق سطحها شلالات من الذهب •

وأدرك (باروخ كوهين) أن اللحظة التى ينتظرها منذ زمن قد حانت •

كانت ثمة مشكلة فى الخطة التى قضى الأيام

السابقة فى وضع تفاصيلها ، منذ بداية أجازته فـوق شواطىء (رودس) ، بل قبلها بوقت ، كان قـد استقر قراره على أنه لم يعد هناك سبب للتأجيل بأى حــال .

كان يدرك أن هناك من يراقبه .. لم يكن أولئك من الأعداء ، الذين يراقبونـه باعتباره عالماً فـذاً وحاصلاً على بضع شـهادات دكتوراه فى الفيزيـاء والانشطار النووى .

بل كان خاضعاً للمراقبة الدقيقة حتى فى أجازته السنوية على الشاطىء باعتباره أحد علماء المفاعل النووى اليهودى فى « ديمونة » بصحراء « النقب » . بل من المؤكد أنه كان أبرع علماء المفاعل النووى الإسرائيلى .. والمرشح ليكون مديراً للمفاعل بعد بضعة شهور قليلة .. ومرشحاً أيضا لجائزة « نوبل » فى العلوم الفيزيائية .

كان (باروخ كوهين) واحداً من قلة من العلماء فى العالم كله يمتلك مثل تلك العبقرية الفيزيائية ، بحيث أن المسئولين فى إسرائيل لم يصدقوا أنفسهم

عندما قدم استقالته فى أكاديمية العلوم الفيزيائية فى موسكو .. وتقدم بطلب هجرة لإسرائيل باعتبـاره يهودى الأصل ..

وقد رفض طلب الهجرة من جانب الروس .. بالرغم من أن ملايين غيره منهم علماء لا حصر لهم ، وافقت روسيا على هجرتهم أينما يرغبون ..

غير ان (باروخ) كان نسيجاً مختلفاً ..

كان عالماً فذاً لا مثيل لـه .. ولا يمكن المغامرة بفقدانه ، حتى بالنسبة لامبراطورية متفككة مثـل (الاتحاد السوفيتى) ..

ولكن وعلى الجانب الآخر ، كانت (إسرائيل) على استعداد لأن تفعل أى شىء . ليصير (باروخ) فى خدمتها .. وأى شىء فى العـرف اليهودى كـان يعنى (الموساد) !

وقـد قامت « الموسـاد » بعملها فى براعـة .. واستطاعت تهريب (باروخ) إلى (تل أبيب) .. فى عملية أطلق عليها اسم (الطير المهاجر) .

كانت عملية بالغة التعقيد لم يدر بامرها سوى

أفراد يُعَدّون على أصابع اليد الواحدة .. على رأسهم مدير الموساد (عيزر ايخمان) ورئيس الوزراء الإسرائيلى شخصياً !

وتمت العملية بنجاح بالغ .. وخرجت كل الصحف والإذاعات الإسرائيلية تحمل صورة (باروخ) وهو يطأ أرض مطار تل أبيب .. وراحت الصحف تكشف دور (الموساد) فى العملية .. وكيف خدعت المخابرات الروسية .. واقتنصت الطير المهاجر بلا ثمن .

واستقر (باروخ) فى (تل أبيب) بعض الوقت ومنها إلى مفاعل (ديمونة) ليصير مسئولاً عن أخطر مشروع إسرائيلى نووى .. لم يكن غير أقل القليلين يعرفون شيئاً عنه .

مشروع كان فى حالة اكتماله .. يهدد بتحول موازين القوة فى المنطقة بأسرها لصالح إسرائيل .. بل وموازين القوة النووية فى العالم كله .. كان ذلك المشروع كفيل بأن يجعل من إسرائيل القوة النووية الأولى فى العالم كله .. ولو قُدّر حتى للمسئولين

فى أمريكا ذاتها معرفة تفاصيل ذلك المشروع ، لفغروا أفواههم ذهولاً .. وما صدقوا أن إسرائيل يمكن ان تسبقهم فى هذا المجال أبداً .. وقد اعتبروها من قبل طفلهم المدلل وقدموا لها من المساعدات الكثير ، حتى كبر الطفل المدلل وصار وحشاً .. يوشك أن يلتهم حتى صاحبه وربيب نعمته !

ولهذا لم تكن الموساد من السذاجة لتترك افضل علمائها ، دون مراقبة مستمرة لمدة ٢٤ ساعة كل يوم ، وحتى فى أيام الأجازات والعطلات ، فما كانت الموساد لتغامر بفقد رجل مثل (باروخ كوهين) .

وكان (باروخ) يدرك ذلك .. وقد اكتشف أنه تحت المراقبة قبل وقت طويل . كانت المراقبة بهدف حمايته .. ولأهداف أخرى كثيرة غير معلنة .

ولذا أدرك (باروخ) أن مهمته التى خطط لها هى مهمة شاقة بكل تأكيد ، فلو أن مسئولى حكومته أو ضباط الموساد أحسوا بالشك فيه ولو بنسبة واحد فى المليون .. لبادروا إلى تصفيته على الفور .. خاصة

إذا اكتشفوا أنه ينوى اللجوء إلى الجانب الآخر ..
مهما كلفه الأمر ..

إلى جانب أصحاب الأرض .. والحق ..
إلى العرب ..
ومصر بالذات !

وقد حان وقت العمل فى تلك اللحظة بالذات !

وشأن أى رجل يتمتع بإجازة بعد شهور عمل طويلة ، ألقى (باروخ) بنفسه إلى المياه الذهبية الساخنة .. وشرع يسبح مبتعداً عن الشاطىء .

كان بلا زوجة أو أبناء .. ولا شىء يربطه بتلك الأرض التى ظنها موعودة .. وقيل أنها تنتظر أبناءها بالمن والسلوى ..

وها هو يخطط للهرب منها على مسافة آلاف الكيلو مترات .. دون أن ينتظر مساعدة من شخص ما ودون أن يدرى إنسان سواه بما ينتويه .

أخذ يسبح فى نشاط لا يتناسب مع سنه الذى قارب الخامسة والخمسين .. ومن الخلف على الشاطىء كان ضابطان للموساد يتابعانه بنظاراتهما المقربة .

وإلى جوارهما قارب بخارى سريع جاهز للانطلاق ، إذا ما لاح خطر ما .

وابتعد (باروخ) عن الشاطىء بمسافة لا تقل عن ألفى متر .. وتوقف يلتقط أنفاسه . كان فى الأيام السابقة قد تعمد السباحة إلى نفس المسافة ، وهو يشعر بضابطى الموساد يسبحان خلفه لكى لا يغيب عن عيونهما .. ثم أصابهما الملل بعد ذلك فاكتفيا بمراقبته عن بعد على الشاطىء . بعد أن صارت سباحته كل تلك المسافة أمراً معتاداً بالنسبة لهما .

كان قد اختار توقيت الهرب بدقة .. منتصف النهار تماماً .. ففى ذلك الوقت تصير أشعة الشمس عمودية على المياه .. وتنعكس أشعتها بقوة بحيث يتحول قلب المياه إلى سطح لامع مصقول يخفى أى تفاصيل فوقه ..

تأكد (باروخ) فى تلك اللحظة أنه صار خارج نطاق المراقبة .. وأن عدسات النظارات المقربة التى تراقبه ، فى تلك اللحظة ، لا تعكس سوى أشعة الشمس الذهبية .

كان قد استعد من قبل خلال الأيام السابقة لتنفيذ عملية هروبه .. ففى كل مرة كان يأتى معه بشىء من أدوات وملابس الغوص ، ويتركها فى ذلك المكان ، معلقة فى إطار ملىء بغاز خاص ، بحيث يستقر أسفل سطح الماء بمتر واحد ، ولا يمكن رؤيته بأى حال إلا عند الاقتراب منه بمسافة كافية .

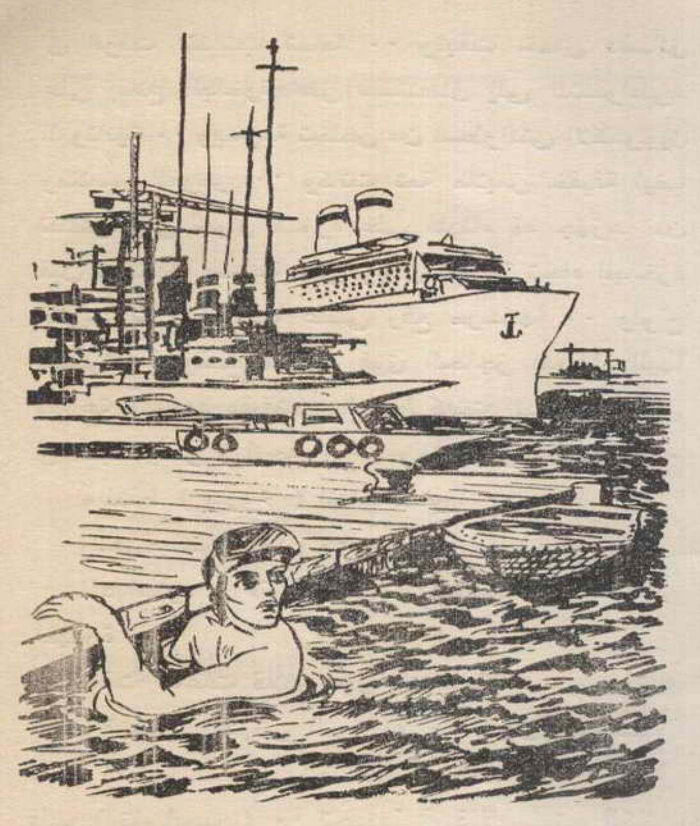
كان كل شىء جاهزاً لفراره .

وفى الحال شرع فى ارتداء بدلة الغوص ، وثبت اسطوانتى اكسوجين خلف ظهره ، ثم شرع فى الغوص سريعاً فى قلب الماء .

صار الآن فى مأمن من العيون المراقبة .. وعندما سيطول غيابه سيبدأون فى البحث عنه .. ولن يعثروا على شىء .. ووقتها سيظنون غرقه ، أو اختطافه .. وعندما سيبدأون العمل سيكون هو قد ابتعد .. ابتعد كثيراً .

وانطلق تحت سطح الماء غائصاً جهة الشرق بكل قوته .. وقبل أن تمر ربع ساعة لاح له الشاطىء البعيد .. والميناء القريبة .

وألقى نظرة على ساعته . استطاع بلوغ الميناء



تخلص (باروخ) من اسطوانتى الأكسجين وملابس الغوص .

فى الوقت المناسب تماماً ·· وتبقت خمس دقائق على إقلاع الباخرة التى ستنطلق إلى الشواطىء اليونانية ·· وبسرعة تخلص من اسطوانتى الاكسوجين وملابس الغوص ·· وكانت ثمة ملابس خفيفة أيضا تنتظره إلى جوار صخرة على الميناء قد جهزها من قبل فارتداها بسرعة ، وشرع فى العدوّ تجاه الباخرة التى أوشك بحارتها على رفع مرساتها ·· ولوّح بتذكرته ، وقطع المسافة فوق الحاجز الموصل إليها بسرعة ، وبعد دقيقتين بالضبط كانت الباخرة تنطلق فى اتجاه بحر (إيجه) ·· والشواطىء اليونانية ·

والتقط (باروخ) أنفاسه أخيراً ··

وشعر ببعض الأمان ··

لقد استرد جزءاً من حريته المفقودة ·· وإنسانيته المهدرة ·

تبقت ساعات قلائل قبل أن يصل إلى محطته الأخيرة فوق الأرض اليونانية ·· وقبل أن ينطلق خلفه زبانية الجحيم ·· على الجانب الآخر ·· فى قلب (تل أبيب) ·· تحديداً فى ذلك المبنى الكائن فى شارع الملك (سول) مبنى الموساد ·

* * *

الفصل الثانى

معلومات .. مذهلة

أشارت عقارب الساعة إلى السادسة مساء ، وقد أوشكت الشمس أن تميل للغروب عندما توقفت سيارة أجرة أمام أبواب السفارة المصرية فى (أثينا) ·· وقفز منها (باروخ) نحو ضابط الحراسة المصرى ، الذى أوشك على إغلاق أبوابها ، وهتف به فى لهجة متوترة ، وبانجليزية سليمة : اننى أرغب فى مقابلة السفير المصرى على الفور ·

تطلع الضابط نحو (باروخ) فى دهشة ، وتأمل رأسه الصلعاء ، وملامحه التى اعطته اقل كثيراً من

سنه وأنفه الذى بدا له علامة مميزة على جنسية محدثه ، وغمغم فى بعض الشك : لقد أغلقت السفارة أبوابها توا ، ويمكنك مقابلة السفير غداً .. و ..

قاطعه (باروخ) فى لهفة أشد ، وهو يتشبث بيدى الضابط : أرجوك .. إن الأمر لا يحتمل التأجيل ، وهو على أعلى درجة من الأهمية ، فلست أضمن بقائى حيّا حتى الغد إذا لم أقابل السفير .

تطلع الضابط إلى (باروخ) فى دهشة وشك أكبر ، وفى حركات عصبية واصل (باروخ) وهو يتلفت حوله خشية أن يراه شخص ما : إذا لم يكن السفير موجوداً ، فإننى أرغب فى مقابلة مسئول الاتصال الأول عن السفارة المصرية فى أثينا .

وفى الحال تحفزت حواس الضابط ..

كانت عبارة (مسئول الاتصال الأول) تعنى مسئول المخابرات الأول فى السفارة المصرية .. وهى شخصية يفترض عدم وجودها دبلوماسيا فى أى سفارة .. فعادةً يحمل رجال المخابرات فى أى سفارة خارج بلادهم ، وظائف دبلوماسية للتمويه ..

ولا يمكن طلب مقابلتهم علانية بمثل تلك الطريقة التى اتبعها ذلك الرجل الذى تدل ملامحه على هويته بدلالة قاطعة الحديث .

تفرس الضابط فى (باروخ) ورابه الأمر بشكل ما ، فغمغم فى حزم : إن من تسأل عنه ليس موجوداً يا سيدى فهيا ابتعد ولا تعطلنى .

وفى نفس اللحظة .. توقفت سيارة تحمل أرقاماً دبلوماسية أمام أبواب السفارة ، وغادرها سائقها مقترباً من ضابط الحراسة وهو يقول له : إن سيادة السفير فى انتظارى ، فأرجو اخباره بوصول سيارته .

هتف (باروخ) فى الضابط كأنه يتشبث بآخر أمل لديه :

أرجوك أخبره أيضا أن هناك من يريده لأمر هام جداً ..

تطلع الضابط إلى (باروخ) وبدا كأنه قد لان للهجة متلهفة ، وسأل محدثه :

ما هو اسمك يا سيدى ؟

ارتجفت شفتا (باروخ) ، وغمغم فى اضطراب :

لا يمكننى أن أصرح باسمى .. إلا للسفير شخصيا .

فتأمله الضابط لحظة فى صمت ، ثم التقط جهازاً لاسلكياً صغيراً من حزام تحت سترته وهو يقول :

سأرى ما يمكننى أن أفعله فى هذا الشأن .. فلعل سكرتير السفارة الأول يوافق على استقبالك !

تقلصت ملامح (باروخ) وقال فى إصرار :

السفير .. لن أقابل أحداً سواه !

فتأمله الضابط مرة أخرى ، ثم ابتعد خطوات وهو يهمس فى الجهاز اللاسلكى بكلمات قليلة .. واستدار نحو (باروخ) الذى بدا اضطرابه واضحاً وهو يتلفت حوله ، ثم أشار له قائلاً :

سوف يستقبلك سيادة السفير بضع دقائق فهو مدعو إلى حفل دبلوماسى لا يمكنه التأخر عنه .. فاتبعنى .

التقط (باروخ) أنفاسه فى ارتياح بالغ .. وخطا خلف ضابط الأمن عبر بوابة السفارة .. وعينا سائق سيارة السفير تتابعهما فى صمت وتقطيب .

وفى الداخل كان فى انتظار (باروخ) ضابطا أمن فتشاه فى دقة فاستسلم لهما ، وسأله أحدهما عن جواز سفره ، فأجاب (باروخ) :

لست امتلك أى جواز سفر ، فقد تركته فى مكان ما .. ولكننى امتلك ما هو أهم منه بكثير ..

وقبضت أصابعه على مظروف صغير فى جيب سترته داخل حافظة من البلاستيك وكأنه أثمن ما يمتلك .

وأومأ ضابط الأمن لضابط الحراسة فسار يتبعه (باروخ) .. وطرق الضابط حجرة السفير وأتاه صوت يدعوه للدخول ، فولج الحجرة وباروخ يتبعه متلهفاً .

كان السفير يجلس إلى مكتبه الأنيق ، فتأمل (باروخ) لحظة مقطباً ، ثم قال :

بلغنى أنك تلح فى مقابلتى لأمر هام جداً ، بالرغم من عدم وجود موعد سابق بيننا .

وألقى نظرة إلى ساعة يده قبل أن يضيف بلهجة دبلوماسية :

لسوء الحظ فإننى لا أمتلك أكثر من خمس

دقائق يمكننى أن امنحها لك ، فإننى مرتبط بحفل دبلوماسى لا أستطيع التأخر عنه .

تقدم (باروخ) فى ثقة من مكتب السفير .. وأطبق على حافته بأصابع نحيلة وغمغم بعينين تشعان وميضاً :

لسوف تمنحنى من الوقت الكثير يا سيدى .. فإن ما جئت بشأنه يحمل أهمية قصوى .. وأهم من تأخرك عن أى حفل دبلوماسى مهما كان .

تطلع السفير إلى (باروخ) فى صمت وكأنه يحاول قراءة ما يدور فى ذهنه ..

وواصل (باروخ) وهو يأخذ مقعداً أمام مكتب السفير متطلعاً إلى ضابط الأمن :

للأسف لن يمكننى أن أبوح بما لدىّ من معلومات إلا لك وحدك يا سيدى السفير ..

وأتاه صوت من مدخل الحجرة يقول :

أو لمسئول الاتصال الأول بالسفارة .. أليس كذلك ؟

تطلع (باروخ) إلى مدخل الحجرة .. وتضاعفت

دهشته وهو يحدق فى سائق السفير فى حلته الخاصة ، وهو يخطو داخلاً بملامح صارمة .

وقبل أن ينطق (باروخ) بشىء ، أشار السائق إلى ضابط الحراسة فغادر حجرة المكتب وأغلق بابها خلفه ، وقد بدا كأن السائق يمتلك سلطة ما أهلته ليفعل ما فعله ، وغمغم (باروخ) فى دهشة للسائق :

ولكن لا يحق لك أن ..

قاطعه السفير ، وهو يشير نحو السائق قائلاً :

أقدم لك السيد / أحمد الزيادى .. ضابط الاتصال الأول فى السفارة !

ابتلع (باروخ) دهشته .. وحدّق فى (أحمد الزيادى) بعينين ضيقتين وأنفاس لاهثة . كان الأمر مفاجأة له ، أفاق منها سريعاً على صوت (الزيادى) وهو يقول له :

لا شك أن شيئا بالغ الأهمية قد أتى بالبروفيسير (باروخ كوهين) إلى السفارة المصرية فى (أثينا) .

غمغم (باروخ) ذاهلاً : كيف عرفتنى بمثل

تلك السرعة ، ونحن لم نتقابل إلا مرة واحدة منذ أقل من خمس دقائق ؟

أجاب (أحمد الزيادى) وهو يضع ساقاً على ساق ، ويشعل سيجارة :

هذا هو عملى الذى أتقاضى عنه أجرى .. ذلك بالإضافة إلى أن قصة اختطافك من (موسكو) على يد الموساد ، هى قصة شهيرة .. وأى رجل مخابرات لا يعرف تفاصيلها وبعض المعلومات عن صاحبها .. سيكون مقصراً فى عمله ولا يستحق شرف العمل فى مخابرات بلاده .. أليس كذلك يا بروفيسير ؟

أومأ (باروخ) برأسه فى صمت .. وفرك كفيه فى توتر كاشفاً عما يجول فى داخله من اضطراب .

وقبل أن ينطق بشىء ، دق جرس التليفون فى الحجرة ، فرفع (الزيادى) السماعة ومضت لحظة ، قبل أن يهز رأسه فى رضى ويعيد السماعة مكانها ، والتفت إلى (باروخ) فى ابتسامة عريضة قائلاً :

اعذرنا إذا كنا قد شككنا فى حقيقة شخصيتك لحظة .. فليس معتاداً أن يلجأ رجل مثلك إلى

المعسكر الآخر .. ولذا كان لابد لنا من التأكد من حقيقتك .

بدا شىء من الارتباك على باروخ وهو يقول : للأسف لست أملك أى أوراق شخصية ولكن ..

قاطعه (الزيادى) قائلاً :

ولكننا تأكدنا بالفعل من أنك الشخص ذاته .

غمغم (باروخ) فى دهشة بالغة : ولكن كيف ؟

أجابه (الزيادى) وهو ينثر رماد سيجارته فى المنفضة أمامه :

ليس سراً أن أقول لك أن هناك أكثر من كاميرا تليفزيونية مثبتة فى أركان السفارة التقطت لك العديد من الصور أثناء دخولك .. وكذلك حصلنا على بصمات أصابعك التى انطبعت فوق حاجز السلم أثناء صعودك .. وقد أفاد الكمبيوتر فى السفارة بعد مطابقة البصمات والملامح ، بأنك بالفعل (باروخ كوهين) .. أحد أعظم بروفيسير فيزياء نووى فى العالم ، أو لعلك الأفضل فيهم جميعاً .

فرك (باروخ) كفيه فى توتر ، وقال بكلمات مضطربة :

لم أكن أظن أنكم تمتلكون مثل تلك المهارة فى العمل بالسرعة المطلوبة .. وظننت أن تلك المهارة قاصرة على ضباط الموساد فقط !

بدا كأن المديح لم يؤثر فى الرجل الوقور الجالس خلف مكتبه الأنيق ، وغمغم قائلاً :

كلنا آذان لسماع ما جئت بشأنه أيها البروفيسير .

ابتلع (باروخ) لعابه ، وغالب تردده لحظة ، ثم قال فى صوت عميق :

لقد خاطرت بالهروب من إسرائيل ، وضباط الموساد ، وجازفت بحياتى ؛ لأننى لم أشأ الاستمرار فى لعبة قذرة لم أظن أننى سأشترك فيها يوماً ما ..

ونقل بصره ما بين وجهى محدثيه ، وواصل قائلاً :

أنتما تعرفان دون شك أن (إسرائيل) تمتلك أكثر من مائتى قنبلة نووية أنتجها مفاعل (ديمونة) خلال ربع قرن ، وقد أتيح لى أن أشاهد هذا المخزون النووى الرهيب الذى يكفى لإبادة نصف سكان الكرة

الأرضية ، ولست أشك أن (إسرائيل) سوف تستخدم بعضه فى أى حرب بينها وبينكم لحسم أى معركة قادمة .. وكان مفترضاً حسب اتفاقى مع المسئولين فى (إسرائيل) أننى سأعمل على إنشاء مفاعل نووى صغير بداخل مفاعل (ديمونة) النووى ، فقد تخصصت طوال عمرى فى تجارب الاندماج النووى للأغراض السلمية مثل إنتاج الكهرباء وغيرها ؛ لأن مثل هذا التفاعل لا ينتج عنه أى تلوث ، ولا يحتاج لقدر ضخم من الطاقة لتشغيله فالهيدروجين الثقيل (الديوتيريم) اللازم لتشغيله متوافر فى مياه البحر بكميات لا نهاية لها .. ولكننى أثناء الإعداد لبناء ذلك المفاعل فوجئت بما أذهلنى .. وتوقف (باروخ) عن الحديث .. وبدا عليه توتر بالغ ، فالتقط السفير من جواره زجاجة ماء مثلجة ، صب بعضا منها فى كوب قدمه لباروخ فتجرعه مرة واحدة .. ولعق شفتيه بلسانه ، ثم غمغم فى صوت عميق :

لقد فوجئت أن ذلك المفاعل الذى يجرى إنشاؤه .. هو مفاعل لإنتاج القنابل الهيدروجينية (*) .. وهى

(★) راجع القنبلة الهيدروجينية فى نهاية القصة .

قنابل رهيبة .. وأشد فتكاً من القنابل النووية مئات المرات .

وصمت (باروخ) وشفتاه ترتجفان .. وتبادل (الزيادى) والسفير نظرة قصيرة صامتة مقطبة تحمل اقصى قدر من الدهشة وعدم التصديق .

كان ما نطق به (باروخ) قبل لحظات أمر رهيب .. وأخطر مما يظن أى إنسان . كان امتلاك (إسرائيل) لقنابل نووية أمر لم يتم التأكد منه أبداً .. ولكن ما جاء به ذلك الرجل كان يؤكده .. ويؤكد ما هو اخطر منه الف مرة .. وغمغم (الزيادى) فى توتر :

هل أنت واثق مما تقوله أيها الرجل ؟

ارتعدت شفتا (باروخ) وهو يقول :

– كيف لا اثق فيما شاهدته بعينى وشاركت فيه بعض الوقت حتى لا يشكون فىّ .. لقد عملت على تطوير ذلك المفاعل الجديد كارهاً .. فإن رفضى العمل كان يعنى موتى ليدفن سرى معى .

ضاقت عينا السفير وهو يتساءل :

– ولماذا ترغب إسرائيل فى امتلاك قنابل

هيدروجينية .. إنها ليست دولة عظمى لتفعل ذلك .. وحتى الدول العظمى لم تلجأ لذلك السبيل أبداً .

أمسك (باروخ) برأسه فى ألم مجيباً :

– هذا ما كاد يذهب بعقلى .. لقد آثرت الهجرة إلى (إسرائيل) وقد تخيلتها دولة صغيرة وسط بحر من أعدائها العرب يريدون الفتك بها ، ولا يتورعون عن أى فعل فى سبيل ذلك .. ولكنى فوجئت أن إسرائيل تمتلك ما يمكنها أن تبيد به كل ما حولها دون رحمة أو شفقة .. وعندما شاهدت ضحاياها من سكان الأرض المحتلة الأبرياء من الشبان والأطفال الذين لا يجدون ما يدافعون به عن أنفسهم سوى الحجارة ضد الرصاص ، والدبابات ، والطائرات ، لم يتحمل ضميرى أن أشارك فى هذا العمل البشع .. ولا أن أكون سبباً فى سقوط المزيد من الضحايا بالملايين فى أى حرب قادمة .

وتقلصت أصابعه فى توتر شديد ، وهتف بوجه محتقن :

إن إسرائيل تتحدث عن السلام وتدعى انها

تسعى إليه لتعيش فى طمأنينة وسط جيرانها العرب ..
ولكنها فى الحقيقة تسعى إلى الدمار الرهيب ..
ومتى امتلكت هذه القنبلة الهيدروجينية فلن يوقفها
شىء ، فقد خشت إسرائيل دائماً أن تستخدم قنابلها
النووية فى حروبها ضدكم ، حتى لا يصل إليها
الإشعاع النووى الناتج عن الانفجار النووى ، لقربها
من بلادكم ؛ ولكن القنابل الهيدروجينية لا ينتج
عنها مثل تلك الإشعاعات المدمرة ، فتكون إسرائيل
فى أمان متى استخدمت تلك القنابل الرهيبة ضدكم ،
وهذا ما يشجعها على إنتاجها ؛ ولن يكون مستحيلاً
استخدامها ضدكم فى أى حرب قادمة .

هب السفير واقفاً وهو يقول :

ـ إن ما تقوله خطير .. خطير جداً أيها الرجل ..
ولا يمكن تصديقه بسهولة فحتى أمريكا لم تمتلك مثل
هذه القنبلة الرهيبة بعد ، وهى فى طور التجارب .

التمعت عينا (باروخ) وهو يقول :

ـ وأنا املك ما أؤكد به قولى ..

وأخرج من جيب سترته مظروفاً صغيراً وضعه
أمام السفير قائلاً :

بداخل هذا المظروف بعض الصور التى التقطتها
بنفسى بواسطة كاميرا تليفزيونية صغيرة جداً .. وهى
تصور جدار المفاعل الهيدروجينى وكافة مراحل
إنشائه ، ويمكنكم أن تبعثوا بها إلى (القاهرة)
للتأكد من صحة ما بها من صور ، وصدق ما قلته .

وجفف قطرات عرق غزيرة تجمعت فوق جبهته
مواصلاً :

لقد عانيت الكثير وتهددت حياتى الف مرة من
أجل التقاط هذه الصور ؛ ولكننى غامرت بحياتى
فى التقاطها وتهريبها ، وكذلك فى مغامرة هروبى
من شواطىء (رودس) حيث كنت أقضى اجازتى ـ
وسعيت إلى أقرب سفارة مصرية لأبلغكم بهذه
المعلومات ، وأمنحكم هذه الصور ، عسى أن تتمكنوا
من إيقاف هذا الجنون بأى وسيلة .

ولمعت دموع ملتهبة فى عينيه ، مسحها بظهر يده
وهو يقول :

إن ضميرى لم يشأ قبول الاشتراك فى هذه الجريمة
البشعة .. ولو كان من سيفيد منها هم أبناء قومى ..
وعليكم أن تمنعوا هذه الجريمة بأى ثمن ، ويمكنكم

فضح هذا الأمر عالمياً .. ونشر هذه الصور فى كل الجرائد ، فالفرصة لم تفت بعد لوقف هذا العمل البشع قبل اكتمال المفاعل الهيدروجينى بعد شهور قليلة ، وإنتاج أول قنابله الرهيبة .

هب (الزيادى) واقفاً وهو يقول :

لقد قمت بعمل رائع أيها الرجل .. وتغلبت إنسانيتك على كل اعتبار آخر فما أنبلك .

واستدار نحو السفير مواصلاً :

لسوف نبعث هذه الصور فوراً إلى القاهرة .. وسننتظر الرد على أحر من الجمر .

أومأ السفير برأسه بنعم .. والتفت إلى (باروخ) فى ود بالغ قائلاً :

ثق ان عملك لن يضيع هباء باى حال .. ولسوف تكون فى حمايتنا منذ هذه اللحظة .. واننى باسم كل مصرى أقدم لك الشكر العميق .

ومد السفير يده لمصافحة (باروخ) وعيناه تنطقان بشكر عميق بالغ ، فصافحه (باروخ) فى لهفة لا تناسب وقاره أو مكانته العلمية !

* * *

الفصل الثالث

البحث عن ميت !

كان المشهد بالغ الجدية فى مكتب مدير المخابرات المصرية العامة ، وقد جلس أمامه عدد من قيادات أفرع المخابرات المختلفة .. وراحت الأيدى تتداول الصور التى وصلت قبل دقائق قليلة من مكان خاص ، أخذت طريقها إليه حال وصولها إلى (القاهرة) وقبل أن تصل إلى أيدى رجال المخابرات للتاكد من حقيقتها .

كان آخر من تأمل الصور السيد (فخرى سيف) الذى تأمل الصور فى صمت وتقطيب .. كان الأمر

مفاجأة له بحق .. وهو الرجل الذى لم يتعود أن تأخذه المفاجأة بمثل ذلك الحد .. وقال مدير المخابرات قاطعاً حبل الصمت الطويل :

لقد تأكدنا من صحة الصور .. فهى لمفاعل هيدروجينى بالفعل .

غمغم أحد الجالسين قائلاً :

إنها مفاجأة بحق ، فلم تكن لدينا أى معلومات عن هذا الأمر من قبل .

أومأ مدير المخابرات برأسه وقال :

هذا صحيح .. ونشكر الله أن جاءتنا تلك المعلومات فى الوقت المناسب ، فإذا كان البعض على الجانب الآخر قد أعد هذه المفاجأة انتظاراً للحظة ما .. فإن عناية الله شاءت أن تصلنا كافة التفاصيل فى الوقت المناسب ؛ لنتخذ الإجراء المناسب أيضاً .

زوى أحد الجالسين ما بين حاجبيه فى غضب قائلاً :

ـ مثل هذا الأمر لا يجب السكوت عليه يا سيدى .. وعلينا فضحه عالمياً لوضع إسرائيل أمام الأمر الواقع .. ومواجهة غضب العالم كله ، وربما نستصدر

أمراً من « الأمم المتحدة » بوقف إكمال هذا المفاعل وهدمه .

بدأ شىء فى التجهم على وجه مدير المخابرات وهو يقول :

منذ متى كانت إسرائيل تحترم قرارات الأمم المتحدة ، أو تقوم بتنفيذها .. ومتى كانت تحفل حتى لو نقم العالم كله عليها ؟

أشعل السيد (فخرى) سيجاراً ، وهو يقول فى لهجة عميقة :

لعل أفضل ما نفعله فى هذا الشأن ، هو تدمير ذلك المفاعل ومحوه من الوجود ، فإسرائيل دائماً لا تعترف إلا بلغة القوة .

نقر مدير المخابرات فوق مكتبه قائلاً :

إن التفكير فى هذا الأمر سابق لأوانه ، فهناك خيارات أخرى كثيرة متاحة لنا ؛ ولن نلجأ للقوة إلا إذا اضطررنا لذلك .

ومال بمقعده للخلف مستطرداً :

إن ما جمعتكم بشأنه الآن هو جزء من الخطة الخداعية التى ننوى اتباعها فى هذه اللحظة .. فقد

تقرر سفر (باروخ كوهين) إلى القاهرة بشكل سرى ، وسنمنحه الحماية والتكريم اللائقين بعمله النبيل والبطولى ، وإن كنا فى نفس الوقت لن نعلن عن وجود أى علاقة أو اتصال لنا به .. وهو ما يعنى أننا سنخفى عن إسرائيل لجوء (باروخ) إلينا حتى لا يكتشفوا معرفتنا بأمر المفاعل الهيدروجينى .. فهذا قد يفسد تحركنا فى هذا الشأن للرد بطريقة مناسبة على بناء هذا المفاعل .. ولكن وفى نفس الوقت فإن اختفاء (باروخ) ظهر اليوم لابد وأن يثير دهشة الإسرائيليين ، وريبتهم أيضاً .. وهذا ما دفعنى لعقد هذا الاجتماع لتلافى ذلك الأمر .

تعقد حاجبا أحد الجالسين وهو يقول :

لابد إذن من موت (باروخ) ليختفى سره معه .

تلاقت أبصار الجالسين فى استنكار ، وتساءل أحدهم فى دهشة :

وهل تظن أننا نقتل رجلاً لجأ إلينا بمثل هذه المعلومات البالغة الأهمية لعدم كشف أمر لجوءه إلينا .. هذا أمر يستحيل قبوله .

قال الأول :

لم أقصد ذلك .. بل ما فكرت فيه هو أن يظهر اختفاء (باروخ) أمام الإسرائيليين وكأنه مات لسبب ما .

قال مدير المخابرات :

إن هذا يتطلب وجود جثة .. ولست أظن أن أى جهاز مخابرات فى العالم قادر على إيجاد جثة شبيهة لشخص ما .. تحمل نفس الملامح والمواصفات الجسدية .. وحتى بصمات الأصابع .

تلاعبت ابتسامة صغيرة على وجه السيد (فخرى) وهو يقول :

بل إن هذا الأمر ممكن تماماً يا سيدى .

تطلعت الأنظار إليه فى دهشة .. وحتى مدير المخابرات حدّق فى ذلك الرجل الداهية الملقب بالثعلب ، وهو يدرك استحالة ما قاله .. وأكمل السيد (فخرى) بنفس الابتسامة الهادئة :

بعد مرور أسبوع أو أكثر على اختفاء (باروخ) يمكننا أن نقدم جثة بديلة له .. وقد لجأ الإنجليز والحلفاء إلى نفس الخدعة قبل غزوهم « نورماندى »

بأن تركوا جثة لضابط **إنجليزى** مشوهة الملامح ..
تحمل فى جيوبها معلومات زائفة عن الغزو المنتظر ..
وجازت الخدعة على **الألمان** ، **ولم يكتشفوا** أن الجثة
والمعلومات مزيفة **إلا** بعد تمام الغزو .

تعقد حاجب مدير المخابرات ، وهو يقول :

أتعنى أن نستعين بجثة شخص يشبه (باروخ)
فى التكوين الجسدى ، ونتركها فى الماء بضعة أيام
حتى تتحلل وتختفى ملامحها وتتآكل .. ثم نلقيها
أمام شواطىء (رودس) ، ليلتقطها ضباط الموساد
ويظنوها تخص (باروخ) ؟

أومأ (فخرى) برأسه قائلاً :

- وبالطبع سيعثر عليها ضباط الموساد الذين
سيضعون احتمال غرق (باروخ) فى اعتبارهم ..
وخاصة أن تلك المنطقة تشتهر بأسماكها الشرهة التى
ستلتهم نصف الجثة على الأقل فيستحيل التأكد من
زيفها وأنها ليست (لباروخ) .. وإن كان هذا
لا يمنع أننا فى حاجة إلى جثة شخص يشبه (باروخ)
فى أشياء كثيرة .

هز مدير المخابرات رأسه ، وقد راقته الفكرة ..

وتراجع بظهره فى ارتياح وهو يحدق فى
(فخرى سيف) .. كان ذلك الرجل هو الأقرب
إلى قلبه وذراعه الأيمن .. ولم يكن من شك أنه
سيحتل مقعده يوماً ما . وضاقت عينا مدير
المخابرات وهو يقول :

إن هذه الخطة على صعوبتها هى الحل الوحيد
أمامنا .. فنحن فى حاجة **إلى** حظ أكثر من حسن
لنعثر على جثة يتشابه صاحبها مع (باروخ) فى
الطول والوزن والملامح الخارجية وليس أمامنا غير
انتظار الحظ الحسن للعثور على ما نريد ، وإلا
استحال تنفيذ تلك الخطة .

وزفر فى بعض التوتر وهو يضيف :

- والآن سنناقش خطة سفر (باروخ) إلى
(القاهرة) فى سرية تامة من (أثينا) .. فهل لديكم
اقتراحات فى ذلك الشأن ؟

* * *

توقفت شاحنة صغيرة أمام إحدى المستشفيات
الصغيرة فى العاصمة اليونانية .. وغادرها سائقها فى
ملابس خشنة . كان له شارب كثيف ووجه يميل

للسمرة ، تغطيه بعض الشحوم من حمولة شاحنته ٠

وتجاوز سائق الشاحنة المدخل ، واتجه مباشرة إلى ثلاجة المستشفى ، وفى لهجة يونانية ثقيلة كلهجة أهل الجنوب ، قال السائق لعامل الثلاجة :

لقد اتصلت بك قبل قليل بشأن أخى الغائب من المنزل منذ بضعة أيام ٠٠ وأخشى أن يكون قد مات ؛ ولذلك أبحث عن جثته فى كل مستشفيات العاصمة ٠

ودس ألف (بيزو) فى يد العامل الذى تهللت أساريره وهو يقول :

سيسعدنى يا سيدى أن أُريك كافة الجثث لدينا ٠

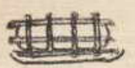
أجابه السائق :

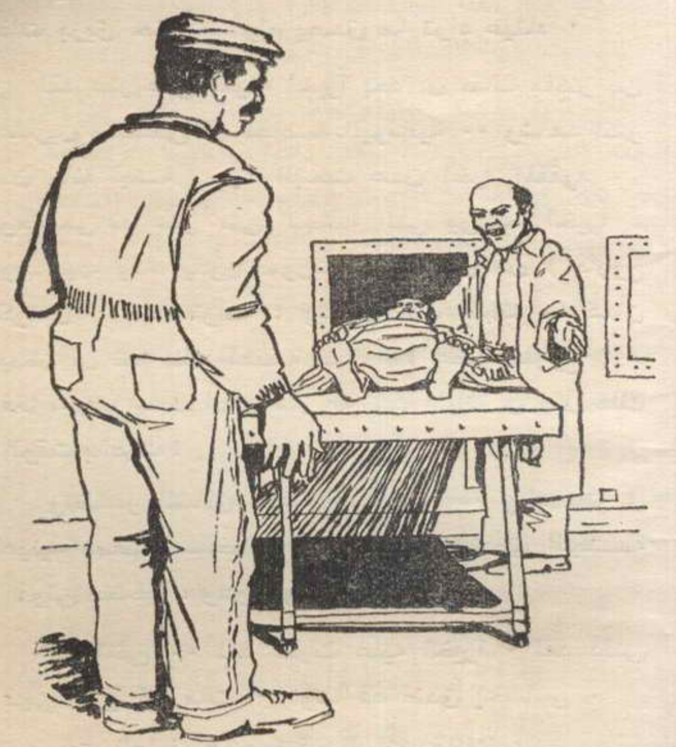
إن أخى فى حوالى الخامسة والخمسين ٠٠ قصير القامة بعض الشىء ، وله وجنتان بارزتان ٠

غمغم العامل :

إن لدينا هنا جثتان بهذه المواصفات ، أحدهما لرجل مات غريقاً ٠

وجذب أحد أدراج الثلاجة واتبعها بدرج آخر ٠٠





تظاهر السائق بالألم الشديد ٠٠ والتمعت فى عينيه دمعتان ساخنتان ٠

وتطلع السائق إلى الجثتين ، والتمعت عيناه بنظرة ذات بريق حاد .. ولم يصدق ما تراه عيناه .

لقد عثر على بغيته أخيراً بعد أن طاف بأكثر من عشرين مستشفى فى العاصمة اليونانية .. وشاهد أكثر من مائة جثة بحجة البحث عن أخيه المفقود .. وها هو قد عثر على الجثة التى يريدها أخيراً ، وصاحبها يكاد يكون صورة طبق الأصل من (باروخ كوهين) كأنه توأمه ؛ وبدون تلك الجثة ما كان يمكن أن تتم تلك العملية أبداً . (عملية باروخ) ، فما أغرب الحظ الذى ساق له تلك الجثة فى مثل ذلك الوقت بالذات !

وتظاهر السائق بالألم الشديد .. والتمعت فى عينيه دمعتان ساخنتان ، وتشبث بصندوق الجثة الأولى منتحباً ، وهو يقول :

إنه أخى .. لقد عثرت عليه أخيراً . لقد دلنى قلبى على أنه مات .. وها قد صدق إحساسى .

ربت العامل على كتف السائق قائلاً :

تماسك يا سيدى .. فقد عثرنا على أخيك غريقاً

فى أحد حمامات السباحة ، وكان بلا أوراق تثبت شخصيته فتم نقله إلينا انتظاراً لمن يتعرف عليه .

التمعت عينا السائق فى سرور خفى .

لقد كان الحظ حليفه حقاً ، لكى يعثر على الجثة التى يبتغيها ، وقد مات صاحبها غريقاً .. كان ذلك إبداعاً ما بعده إبداع .. وغمغم السائق وهو يمسح دموعه :

لسوف أتجه إلى ادارة المستشفى بالأوراق اللازمة للحصول على جثة أخى لدفنها بالتكريم اللائق لها .

وقد كان السائق يمتلك الأوراق اللازمة التى أُعدت بمهارة فى السفارة المصرية فى (أثينا) وقد أشرف على إعدادها شخصياً سائق الشاحنة ذى الشارب الكث الذى لم يكن له وجود من قبل تحت أنف صاحبه الذى يحمل اسماً شهيراً فى عالم المخابرات . لم يكن السائق سوى (أحمد الزيادى) مسئول المخابرات الأول فى السفارة المصرية فى (أثينا) !

* * *

موسم صيد الرءوس

تطلع (إيليا يائيل) بمنظاره المقرب لمسافة كيلو مترات حوله من نافذة حجرته فى الطابق الأخير فى ذلك الفندق الواقع على الشاطىء فوق جزيرة (رودس) ، وأخذ يتفحص المياه الزرقاء التى تراقصت فوقها آخر أشعة للشمس الغاربة ، ثم أزاح المنظار المقرب عن عينيه ، والتفت إلى (يوسى أهارون) الواقف إلى جواره .. وغمغم فى سخط وضيق :

إننا نبذل مجهوداً ضائعاً فى هذا المكان يا سيدى .. فلن نعثر على جثة ذلك الوغد (باروخ كوهين) ..

فرأيى الشخصى منذ زمن هو أنه لا يمكن الوثوق أبداً فى أولئك المهاجرين خاصة القادمين من روسيا .. فلم يدفعهم للهجرة إلى بلادنا غير الفقر والجوع ، وهم مستعدون لبيعنا بأقل ثمن .

تساءل (يوسى) فى صوت بارد :

وماذا تظن مصير (باروخ) إذن ؟

أجابه (إيليا) فى لهجة غاضبة :

من المؤكد أن هذا الوغد قد تمكن من الهرب إلى أى دولة عربية ليبيع لهم بعض المعلومات البالغة السرية عن المفاعل الذى كان يعمل فيه و ..

قاطعه (يوسى) فى لهجة باترة : لا تثرثر بشىء عن ذلك المفاعل أيها الغبى ، فهذا الأمر على أعلى درجة من السرية .. ولولا ثقتهم بنا فى الموساد ما اختارونا لهذه المهمة وما أطلعونا على بعض أسرارها .

وصمت لحظة ثم أضاف :

لازلت عند رأيى أن (باروخ) قد غرق وستظهر جثته حتماً سواء طال الوقت أم قصر .. فمن المستحيل

التفكير فى هروبه إلى أى دولة عربية ، كما أن ضابطى الحراسة أكدا أنه كان يسبح أمام عيونهما عندما اختفى فى قلب المياه فجأة ، وهو ما يعنى غرقه بالرغم من عدم عثورنا على جثته وأؤكد لك أن رجالنا الذين ينقبون مياه البحر منذ أيام سيعثرون عليها دون شك و ..

وبتر عبارته عندما علا صوت فى جهاز لاسلكى يحمله إلى جوار مسدسه الصغير من طراز (بيرتا) ، السلاح المفضل لدى ضباط « الموساد » .. وجاء صوت شخص ما يقول فى لهفة :

لقد عثرنا على جثة مجهولة متحللة ؛ ولكن معالمها الظاهرة برغم ذلك تؤكد أنها لمن نبحث عنه .

التفت (يوسى) إلى (إيليا) بعينين متسعتين هاتفاً :

ألم أقل لك .. هيا اتبعنى .

واندفع خارج الحجرة يتبعه (إيليا) واستقلا زورقاً بخارياً سريعاً على الشاطىء وانطلقا به إلى قلب المياه .. وأوقف (يوسى) زورقه أمام بضع زوارق لضباط الموساد ، وقد تمددت فى إحداها جثة

متحللة قد تآكلت ملامحها وأطرافها ، وتأمل (يوسى) الجثة وغمغم قائلاً :

إن صاحبها يرتدى نفس لباس البحر الذى كان (باروخ) يرتديه .

والتقط سلسلة فضية تحيط بالعنق المتآكل .. وتامل شيئاً فى حلية تتدلى منها ، ثم أومأ برأسه قائلاً :

إنه هو .. لقد عثرنا عليه أخيراً ، فهذه الحلية تخصه .. وأشار إلى أحد مساعديه مواصلاً :

أخبرهم لكى يبعثوا إلينا بطائرة هليكوبتر لإعادة الجثة إلى (إسرائيل) لاتخاذ الإجراءات اللازمة لدفنها مع التكريم اللائق .

وعلى مسافة من الشاطىء كانت ثمة عينان تراقبان بمنظار مقرب كل ما يدور فوق سطح المياه .

كان من الغباء أن يترك (أحمد الزيادى) مثل تلك الفرصة دون أن يشاهدها بعينيه .. بل ودون أن يقوم بتصويرها بكاميرا فيديو حديثة .. ليحتل الفيلم الملتقط مكانه فى مكتبة المخابرات المصرية

العامرة بمثل ذلك الشريط الذى يصور قمة انتصارات المخابرات المصرية فى حروبها .

نجحت الخطة الخداعية ، وتم الجزء الأكبر من عملية (باروخ) دون أى مشاكل ؛ بل بسهولة غير معتادة ؛ لم تكن هناك غير خطوة أخيرة .. وهى تهريب (باروخ) إلى القاهرة لتكتمل المهمة الصعبة .

وكان ذلك الجزء على صعوبته هو الأسهل فى المهمة كلها !

* * *

أطلق التليفون الصغير فوق المنضدة إلى جوار الفراش الوثير أزيزاً متقطعاً . تنبه (عيزرايخمان) مدير الموساد واستيقظ من نومه ، كان يعيش وحيداً بعد طلاق زوجته الثالثة قبل أيام .. وحدق فى التليفون بنظرة قصيرة وقد تلاشى كل أثر للنعاس من عينيه . كان قد قضى أياماً طويلة سعياً وراء البحث عن مصير (باروخ كوهين) دون أن يغمض له جفن .. وها قد أغلق الملف أخيراً بعد العثور على الجثة ؛ ولكنه لم يكد يحصل على ساعات راحة قليلة حتى دق هاتفه

الخاص . هاتف الطوارىء .. بالرغم من تعليماته المشددة لرجاله بعدم ازعاجه مهما كان الأمـر .

كانت ساعة يده تشير للثانية صباحاً .. وفى سخط رفع سماعة الهاتف وصاح فى غضب : من ذلك الغبى الـذى ..

وبتر عبـارته وابتلع لعـابه مغمغماً فى صـوت مصدوم : سيدى الوزير ؟

وجاءه صوت وزير الدفاع على الجانب الآخر من الهاتف ، وهو يسأله :

ماذا تم بشأن قضية (باروخ كوهين) ؟

التقط (عيزر) أنفاسـه وبدا عليـه شىء مـن الارتياح وهو يقول :

لقد عثرنا عـلى الجثة يـا سيدى بالقرب مـن شواطىء (رودس) وقد ثبت أن (باروخ) مات غريقاً فى نفس البقعة قبل بضعة أيام و ..

قاطعه الوزير فى حسم :

ـ هذا أمر لا يمكن مناقشته فى الهاتف .. عليك أن تأتينى بكل التفاصيل توا إلى منزلى .

غمغم (عيزر) فى دهشة بالغة :

الآن يا سيدى .. إنها الثانية صباحاً ، ويمكننا تأجيل هذا الأمر للصباح و ...

وبتر مدير الموساد عبارته ، وهو يسمع صـوت الوزير الغاضب .. وابتلع لعابه فى شىء من التوتر وهو يقول :

حسناً يا سيدى الوزير ، ساكون عندك خـلال عشرين دقيقة على الأكثر .

وأعاد السماعة مكانها .. وظل مكانه لحظة يحدق فى جدران الحجرة ولا تزال الدهشة تتملكه .. وجز على أسنانه فى غضب قائلاً :

مـن يظن نفسه هـذا الرجل .. إننى لا أتلقى التعليمات إلا من رئيس الوزراء مباشرة .. فأى أمر عاجل إلى تلك الدرجة دفعه لكى يستدعينى فى مثل هذا الوقت ، ويتحدث معى بمثل تلك اللهجة ؟

ولكنه غادر فراشه بعد لحظة ، فقد كان يـدرك مغبة عدم تنفيذ أمر وزير الدفاع .. وهو يعلم ماله من نفوذ وسلطة حتى لدى رئيس الوزراء نفسه . كما أنه الرجل المرشح ليصير رئيس وزراء يوماً ما !

وفى دقائق قليلة كان قد غادر مسكنه الذى يعيش

فيه وحيداً إلا من حراسه الخصوصيين . كان الطريق خالياً فى ذلك الوقت المتأخر .. ولم تستغرق المسافة أكثر من عشر دقائق .. وسمح له حراس الوزير بالصعود إلى الفيلا الأنيقة التى تحيطها حراسة مشددة ليل نهار .. واستقبله الوزير فى مكتبه ، وقد امتلأت مطفأة السجائر فوق مكتبه بما يزيد عن بقايا عشرة منها ، فى حين كان (عيزر) يعرف أن الوزير يكره التدخين ، ولا يلجأ له إلا إذا واجهته مشكلة كبيرة .

وكان الموقف وما يحيط به يوحى بوجود مثل تلك المشكلة الكبيرة التى تنتظر مدير الموساد !

وأشار الوزير لعيزر بالجلوس ، وقبل أن يحتل مدير الموساد مقعده بادره الوزير قائلاً :

إننى أرغب فى معرفة كل التفاصيل بشأن قضية (باروخ كوهين) وما تم فيها .

مد (عيزر) ملفاً يحتوى على عدد من التقارير إلى الوزير ، وقد حفلت أوراق الملف بالصور العديدة التى التقطها ضباط الموساد من حراس (باروخ) له على الشاطىء .. وكانت كلها توحى بأن صاحبها كان يتمتع باجازته لأقصى حد ، وأن غرقه كان

نهاية مأساوية غير متوقعة بأى حال .

تفحص الوزير الملف ، والصور باهتمام لبضع دقائق ، ورفع عينيه صوب (عيزر) وهو يقول :

إن كل الملابسات تظهر أن (باروخ) قد لاقى مصيراً مؤلماً .

أومأ (عيزر) برأسه موافقاً وهو يقول :

هذا صحيح .. فلعل نوبة قلبية داهمته ، أو أصيب بشد عضلى لم يمكنه من العودة للشاطىء فمات غريقاً دون أن يحس به أحد .

وأضاف فى لهجة لا تخلو من دلالة :

لقد ثبت من فحص الجثة أنها لا تحمل أى خدوش أو آثار لنشوب معركة ما .. وهو ما يعنى أن (باروخ) مات غرقاً .. ولم يمت عمداً .. أو مقتولاً .

تراجع الوزير بمقعده للخلف ، ورمق مدير الموساد بنظرة ضيقة وهو يسأله فى لهجة لا تخلو من سخرية :

هل أنت واثق مما تقول ؟

تلاعبت ابتسامة بالغة الثقة على شفتى (عيزر) وهو يقول :

تمام الثقة يا سيدى الوزير .. وكل التقارير الطبية التى حصلنا عليها من أطباء الموساد تؤكد ذلك .

أشعل الوزير سيجارة التقط منها بضعة أنفاس ، ومال للأمام تجاه محدثه وهو يسأله بنظرة قصيرة :

هل أنت واثق أن تلك الجثة التى عثرتم عليها هى جثة (باروخ) ؟

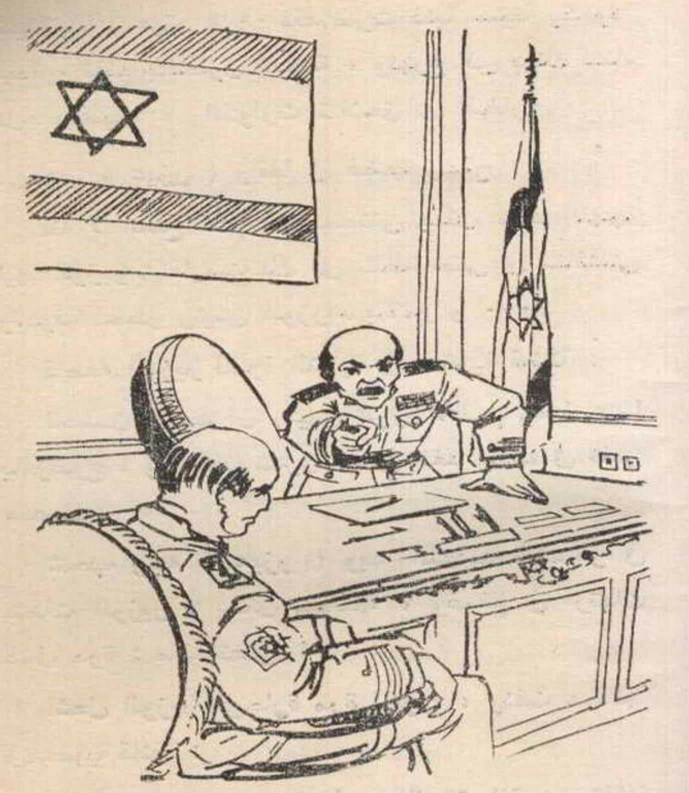
أومأ مدير الموساد برأسه مجيباً بنعم : تمام الثقة يا سيدى فبالرغم من تحلل بعض أجزاء الجثة ، وتشوه أغلب معالمها ومنها بصمات الأصابع ، غير أن الكمبيوتر أفاد بأن مواصفات الجثة التى عثرنا عليها تنطبق تماماً على (باروخ كوهين) .

أطفأ الوزير سيجارته فى المنفضة بحركة عصبية وهو يقول :

أليس هناك أى احتمال للخطأ فى هذا الأمر ؟

غمغم (عيزر) : أؤكد لك يا سيدى أن ...

قاطعه الوزير فى حدة وعنف : لا داع لأن تؤكد لى



قاطعه الوزير فى حدة وعنف : لا داع لأن تؤكد لى شيئاً يا عيزر .. فقد صرت ذئباً سميناً وكسولاً جداً .

شيئاً يا (عيزر) .. فقد صرت ذئباً سميناً وكسولاً جداً . تقنع بالحلول السهلة ، وتهرع إلى بيتك لتنام ملء جفنيك ، والكوارث تتلاحق فى الخارج .

هب (عيزر) واقفاً فى غضب وصاح :

أنا لا أسمح لك بأن تحدثنى بمثل هذه اللهجة أيها الوزير . فليست لك أى سلطة حتى فى مناقشتى ولسوف أخطر رئيس الوزراء بالأمر و ...

قاطعه الوزير للمرة الثانية فى سخرية قائلاً :

لحسن الحظ أن رئيس الوزراء لم يحط علماً بالموضوع ؛ وإلا فلن تشرق شمس الغد وأنت فى نفس منصبك .

شحب وجه (عيزر) وبدا التهديد السافر فى كلمات الوزير لا يمكن تجاهله ، وغمغم فى ارتباك لأول مرة : ماذا تعنى ؟

أشعل الوزير سيجارة مرة أخرى ، ونفث دخانها فى عصبية قائلاً :

إن الجثة التى عثر عليها رجالك متحللة ، ومتآكلة ليست جثة (باروخ) .

هتف (عيزر) فى توتر : ولكن ...

رماه الوزير بنظرة قاسية بترت عبارته ، وغمغم من بين أسنانه :

إن لدىّ العديد من الأدلة على ما أقوله ، فقد ثبت أولاً وبواسطة جهوت المخابرات الحربية التى عملت سراً فى هذه القضية ، أن (باروخ) دبر خطة بارعة للهرب واستعان ببدلة غوص ، واسطوانتى اكسوجين ، وألقى تلك الأشياء على الشاطىء ، وقد استطعنا التقاط عدد من شعيرات (باروخ) عالقة بها وتأكدنا من تحليلنا أنها تخصه .. كما ثبت أن (باروخ) استقل باخرة حملته إلى (أثينا) .

غمغم (عيزر) بعينين واسعتين : (أثينا) .. ولماذا ذهب إلى هناك ؟

أطلق الوزير ضحكة قصيرة خشنة مجيباً :

إن لدينا من الاعتبارات ما يجعلنا نعتقد أنه لجأ للجانب الآخر .. وللسفارة المصرية بالذات .. ولابد أنه أهداهم كنز من المعلومات عن تسليحنا النووى .

التمعت حبات من العرق فوق جبهة (عيزر)

مسحها بمنديل حريرى بأصابع مضطربة ، وغمغم فى صوت محتقن :

ولكن تلك كلها مجرد تخمينات لا يعززها دليل قاطع و ...

قاطعه الوزير فى لهجة حاسمة :

بل إن الدليل الحاسم لا يعوزنا أيها المدير ، فقد أثبت فحص أسنان فك صاحب الجثة التى عثرتم عليها انها لا تخص (باروخ) على الإطلاق ، فقد اجرى (باروخ) أكثر من عملية زرع لأسنانه فى حين لا يظهر فى فك صاحب الجثة أى أثر لهذه العمليات .

فتح (عيزر) فكه عن آخره . كان يرغب فى أن يقول شيئاً ؛ ولكنه لم يجد ما يقوله . وكان وقع المعلومات الأخيرة عليه صاعقاً .. وقد كان الوزير على حق ، فلو أن رئيس الوزراء علم بالأمر لاختلف رد فعله تماماً برغم ما يربطهما من صداقة طويلة ، ولربما واجه محاكمة عسكرية !

وفى صوت متحشرج قال :

إذن فقد قام المصريون بعملية بارعة لخداعنا ..

وليس من شك أن ذلك الثعلب الماكر (أحمد الزيادى) مسئول المخابرات المصرية فى سفارتهم بالعاصمة اليونانية هو الذى دبر الأمر كله ، فلطالما عانينا من دهائه ومكره .

زوى الوزير ما بين حاجبيه قائلاً :

أيا كان الأمر فإن الخيوط لم تفلت كلها من أيدينا بعد ، فقد ثبت لنا من خلال مراقبة رجالنا للسفارة المصرية فى أثينا أن رجالها يعملون بنشاط غير معتاد ، وهو ما يعنى استعدادهم للقيام بعملية خاصة .. ولست أشك فى أن هذه العملية هى تهريب (باروخ) إلى مصر .. وهو ما يمنحنا الفرصة للعمل ، فالوقت لم يفت بأكمله .

وحدّق فى عينى (عيزر) مضيفاً فى لهجة باترة :

هل فهمت ما أعنيه .. إن بقائك فى منصبك يتوقف على قدرتك على إعادة (باروخ) إلينا مهما كان الثمن .

جز (عيزر) على أسنانه فى غضب تقلصت له ملامحه ، وبدا منظره مخيفاً وهو يقول :

ثق أننا سنضع أيدينا على ذلك الروسى القذر

مرة أخرى مهما كان الثمن .. ولسوف القن المصريين درساً غالياً .. بل غالياً جداً سيجعلهم يذكرونه طويلاً .

ودق حافة مكتب الوزير بقبضة يده مؤكداً ما قاله ، فتطلع إليه الوزير متسائلاً :

وما هى خطتك التالية ؟

أجابه (عيزر) وعيناه تطلقان وميضاً شريراً :

لسوف أكلف أفضل رجالى بالعمل فوراً والسفر إلى (أثينا) و ...

قاطعه الوزير قائلاً :

لن يفيد ذلك فى شىء ، فإن رجالك مكشوفون ومعروفون لكل ضباط المخابرات المصريين ؛ وسيكون من الصعب عليهم فى تلك الحالة تنفيذ ما يكلفون به من أعمال ..

وغمغم الوزير وهو يسحق سيجارته الثانية فى المنفضة :

إن هذه العملية فى حاجة إلى عميل من طراز خاص .. طراز لا مثيل له ، فابحث عن هذا العميل

يا (عيزر) بأسرع وقت .. وإلا طارت رأسك من مكانها ، فنحن لا نصبر طويلاً على الفاشلين ، فقد يحين موسم صيد الرءوس بأسرع مما تظن !

تحسس (عيزر) عنقه بحركة غريزية .. وغمغم بصوت كالفحيح :

لن تطير سوى رأس ذلك المصرى الذى خطط لهذا العمل .. وأقسم على ذلك .

* * *

عميل خاص

ازاح (باروخ كوهين) مقعده للوراء عن مائدة الطعام الحافلة ، وصاح فى سخط وغضب :

ليست بى أى شهية للطعام .. ولا رغبة لى سوى أن أغادر هذا المكان ، فإننى أشعر كأننى سجين بداخله .

اقترب سكرتير أول السفارة قائلاً :

لا داع لمثل هذا الانفعال يا سيدى ، فإن بقاءك فى مبنى السفارة لا يمر هباءً ، فنحن فى حاجة لبعض الوقت و ...

قاطعه (باروخ) فى غضب :

بماذا تسمى بقائى أسبوعين فى قبو سفارتكم بلا عمل ، كاننى فأر هارب ، أو سجين ينتظر حكماً بالاعدام ..

اننى لم أعد احتمل مثل هذا الأمر باى حال ..

وضم قبضته فى توتر حاد مواصلاً :

دعونى أغادر هذا المكان وليكن مصيرى الموت على يد بنى قومى ، فهو أفضل من هذه الحياة التعسة بين جدران صماء .

برز (أحمد الزيادى) فى مدخل القبو فى اللحظة ذاتها ، فاندفع (باروخ) نحوه مثل غريق يتشبث بقشة .. وربت (الزيادى) على كتفه قائلاً :

دع عنك هذا القلق يا بروفيسير ، فقد كان من الضرورى تامين كل تفاصيل عودتك إلى مصر ، بحيث لا تكون هناك ثغرة فيها أبداً .

غمغم (باروخ) بعينين واسعتين متلهفتين :

هل ساذهب إلى (مصر) أخيراً ؟

أومأ (الزيادى) برأسه بنعم وأضاف :

لقد وصلتنا الأوراق اللازمة لعودتك إلى (مصر) ،

فأنت منذ هذه اللحظة رجل الأعمال الكندى (ايان ماكلين) ، وأنت فى رحلة من (أثينا) إلى (القاهرة) للسياحة .. ولديك من الأوراق ما يثبت ذلك .

وأخرج من جيبه جواز سفر مده إلى (باروخ) ، فالتقطه الأخير فى لهفة ، وتصفح أوراقه ثم جمدت عيناه على الصورة الملونة فوق جواز السفر ، وغمغم قائلاً :

ولكن هذه الصورة ليست لى . إنها تختلف عنى فى تفاصيل عديدة ، فليس لى مثل ذلك الشارب أو ذلك الشعر الغزير .

تلاعبت ابتسامة صغيرة على شفتى (الزيادى) وقال :

سوف تصير لك نفس الملامح ، فبعد ساعات قليلة سيصل (أثينا) أفضل خبير تجميل مصرى ؛ ولن يحتاج الأمر إلى عملية جراحية ؛ بل إلى بعض بعض التدخلات البسيطة ، وبعدها ستصير لك نفس هيئة صاحب الصورة . هتف (باروخ) فى لهفة :

ومتى سأغادر (أثينا) إلى (القاهرة) ؟

اجابه (الزيادى) بابتسامة هادئة :

بعد يومين فقط ستغادر اليونان بحراً لتشاهد شروق الشمس فوق الأهرامات فى بلادنا .. وكل آثارها الرائعة .

غمغم (باروخ) فى صوت متهدج وأنفاث لاهثة :

الأهرامات .. لطالما حلمت بزيارتها ورؤيتها رؤى العين .. ولست أصدق أننى فى الطريق إليها وأن تلك المحنة ستنتهى أخيراً .. وأننى سأصبح رجلاً حراً .

واحتضن (باروخ) (الزيادى) بقوة كصديق حميم ، والتمعت الدموع فى عينيه وهو يواصل :

هذا الصنيع لن أنساه لك ابداً أيها الرجل ، ولا لمصر ؛ ولسوف أعلن لجميع المسئولين هناك عند وصولى استعدادى لتقديم كل خبراتى لمساعدة بلدكم الجميل (مصر) فى إنشاء مفاعل نووى ، لتصير لكم قنابلكم النووية أيضاً .

زوى (الزيادى) ما بين حاجبيه قائلاً :

هذا أمر سابق لأوانه .. وكل ما أطلبه منك

الآن يا بروفيسيرأن تهدأ تماماً ، وثق أن كل شىء سيسير بطريقة رائعة .. وأنك فى أيد أمينة .

وأضاف بلهجة خاصة :

أكثر مما تتصور .

* * *

ازاح (عيزر) مجموعة الملفات الضخمة أمامه فى حدة واستياء ، وأشار إلى الصور التى راحت تتتابع فوق شاشة الكمبيوتر ، وهو يقول فى سخط :

كل هذه الوجوه والأسماء معروفة للمصريين .. ولا يمكننى المغامرة بالزج بأحدهم فى تلك المهمة الخاصة ، فلست أخاطر بالفشل ولا بنسبة واحد فى الألف .

غمغم (هارئيل شاحال) مساعده ومدير وحدة العمليات الخاصة :

ولكن تلك الملفات هى لنخبة ضباط الموساد والعمليات الخاصة يا سيدى ؛ ولن تجد فى إسرائيل من هو أفضل منهم و ...

قاطعه (عيزر) فى سخط : هراء .. لقد تجمدتم

يا (هارئيل) وصرنا مثل دجاجات سمينة لا تفعل سوى أن تكاكى وتسمن انتظاراً لموسم ذبحها .. وهو قريب إن لم تبادروا بالعمل الفورى ، فقد كان من الضرورى تجديد شباب الموساد بدماء جديدة ؛ ولكننى أرى نفس الوجوه ذاتها منذ أعوام ؛ وأخشى أن يستمر الحال بنا هكذا ، فنصبح مؤسسة للمسنين والعجزة .

بدت الحيرة على وجه مدير وحدة العمليات الخاصة ، وقال بعد لحظة :

ولكنى لا أتصور أن تلك العملية التى تنوى القيام بها ، بمثل تلك الصعوبة ، فقد نفذنا عشرات العمليات مثلها وتمت كلها بنجاح ساحق ؛ ولن تشذ هذه المرة عن سابقاتها و ...

قاطعه (عيزر) فى غضب :

إن هذه المرة مختلفة بكل تأكيد

والتمعت عيناه وهو يضيف :

فإن مستقبلى بل ومستقبل الكثيرين داخل هذه المؤسسة يتوقف على نجاحها .. وإلا سنجد أنفسنا

جميعاً على المعاش .. وربما تحت المحاكمة أيضاً بتهمة الفشل والإساءة إلى سمعة الموساد بأكملها !

ابتلع (هارئيل) لعابه . وقد بدا له الخطر جلياً . كانت كل المخاطر تهون إلا أن يفقد كل منهما منصبه ، ولقد خاضا صراعات لا حصر لها فى سبيل ذلك ، ودبرا من الخدع الكثير .. ودفع الكثيرون أيضاً حياتهم دون رحمة ؛ لأنهم فكروا للحظات فى أن يحتلوا المكان الأول ، أو الثانى فى الموساد .. ولم يكن (عيزر) و (هارئيل) ليتسامحا فى هذا الشأن ابداً .. وها هو الخطر يطل برأسه مرة أخرى .. بل إن الخطر يختلف هذه المرة .. فهو يمس سمعتيهما ، وحياتهما أيضاً ؛ وليس منصبيهما فقط !

وقد كان مدير الموساد ومساعده على استعداد لإراقة نهر من الدماء ؛ كى لا يمسهما أى أذى .. وغمغم (هارئيل) فى صوت عميق .. وحشى :

لسوف نعثر على هذا العميل ولو اضطررنا للتنقيب فى كل أنحاء البلاد .

جاوبه (عيزر) فى سخط :

هل تظن أن أمامنا مهلة مفتوحة لذلك .. إننا لا نستطيع الانتظار أكثر من ساعات قليلة لكى يبدأ هذا العميل مهمته ، فالوقت ليس فى صالحنا ..

وازاح كومة الملفات والجرائد اليومية والتقارير التى تأتيه يومياً فى غضب وعنف .. وفى نفس اللحظة وقع بصره على خبر خاص فى الصفحة الأولى بجريدة « يديعوت احرونت » ..

كانت هناك صورة كبيرة ملونة لفتاة فاتنة الجمال ، شقراء ذات عينان بالغتا الزرقة تبدوان عميقتى الغور ، وقد ارتدت صاحبتهما بذة جيش عسكرية ، وكان منشوراً تحت الصورة بالخط العريض عبارة تقول : « ابحث معنا عن هذه السفاحة ، مكافأة مليون شيكل لمن يدلى باى معلومات تؤدى للقبض على الملازم (ايفا شارون) » .

وكانت بقية التفاصيل المنشورة مثيرة إلى أقصى حد ، فقد اكتشفت الشرطة العسكرية أن الملازم (ايفا شارون) المجندة بجيش الدفاع الإسرائيلى ، والحاصلة على عدة دورات تدريبية ، وبطولات فى

الرماية والألعاب القتالية ، وعدة أوسمة . اكتشفت الشرطة أن (ايفا) كانت تقوم بتهريب الأسلحة من وحدتها العسكرية ، وتبيعها إلى بعض العصابات والمتطرفين اليهود بمبالغ كبيرة ، وعندما افتضح أمرها وطاردتها قوة عسكرية ، تمكنت (ايفا) من قتل ثلاثة من أفراد القوة وجرح ستة منهم ، وبعضهم فى حالة خطيرة ، ثم استطاعت الهرب ، ولا يزال مكانها مجهولاً حتى الآن .

وناشدت الصحيفة من يمتلك أى معلومات عن السفاحة الهاربة للإدلاء بها ، كما حذرت فى نفس الوقت من خطورتها البالغة واستعدادها للقتل فى غمضة عين ودون أى مشاعر .

انتهى الخبر المنشور .. وتطلع مدير الموساد إلى مساعده بعينين واسعتين ، وغمغم فى صوت لاهث :

متى جرت كل هذه الوقائع المثيرة ؟

أجابه (هارئيل) فى سخط : أمس مساء . فمن كان يظن أن هذه البطلة يمكن ان تتحول إلى لصة

وقاتلة . إن ما حدث يكشف عن أخلاق بعض ضباطنا المحترفين .

ووضع ساقاً على ساق وهو يردف :

لقد فكرت لحظة فى ضم هذه الفتاة إلى وحدة العمليات الخاصة ، فهى تمتلك مهارات فريدة فى القتال وعقلاً جباراً ؛ ولكنها للأسف قضت على نفسها بنفسها .

دق (عيزر) حافة مكتبه وهتف :

بل إنها أظهرت مواهبها بطريقة رائعة ، وبإعلان مثير جداً ، فهى تستحق جائزة ضخمة . غمغم (هارئيل) فى دهشة واستنكار :

أتقول عن قيامها بالسرقة والقتل ، إنها مواهب رائعة ؟

مط (عيزر) شفتيه فى سخرية مجيباً :

وماذا نفعل نحن يا رجل سوى القتل والنهب والسرقة ، فلماذا يلقبوننا بالأبطال ويتهموا تلك الفتاة بكل النقائض ؟ وكان من الغباء عدم مسارعتك بضمها إلى صفوفنا ؛ ولكن الفرصة لاتزال سانحة .

هتف هارئيل فى احتجاج :

ماذا تقول يا سيدى ، هل تنوى ضم هذه الفتاه إلينا ؟ إن هذا سيثير الرأى العام ضدنا و . . .

قاطعه (عيزر) فى سخرية أقسى :

تباً للرأى العام ، فمتى كنا نحفل به . إن ما يهمنا هو القيام بعملنا على أكمل وجه .. وهذه الفتاة هى ما نريده بالضبط .. وإننى أثق أنها ستؤدى عملها بنجاح رائع معنا ، وستنهى هذه المهمة على خير وجه .. وسيحتفل بها الجميع باعتبارها بطلة أعادت ذلك الخائن (باروخ) إلى صفوفنا ليلاقى المصير الذى يستحقه .

وأشار بسبابته فى وجه (هارئيل) فى لهجة آمرة مواصلاً :

هيا اذهب وابحث عنها .. ولا تأتنى بدونها وإلا لاقيت مصيراً لن تحتمله أبداً أيها الرجل ، فإما مستقبلك أو هذه الفتاة .. ولك أن تختار !

شحب وجه (هارئيل) .. وتجمعت قطرات من العرق فوق جبهته وشفتيه ، وغمغم فى توتر بالغ :

ولكن كل شرطة البلاد تبحث عنها دون أن تعثر

عليها ، فكيف يمكننى الاهتـداء إليها فى غضـون ساعات قليلة و ..

قاطعه (عيزر) بنفس اللهجة :

لست أريد اعذاراً يـا (هارئيل) .. ونسـت احب أن أكرر ما قلته ، فإما تلك الفتاة ، أو أن تفقد منصبك وحياتك كذلك !

أصابت الكلمات قلب (هارئيل) فى الصميم ، وقد علمته التجربة أن رئيسه يعنى مـا يقوله .. وأن حياته كلها صارت فى كفة .. وعثوره على تلك الفتاة الهاربة فى كفة أخرى !

وفى الحال انقلبت سحنة (هـارئيل) وتحولت إلى ملامح أخرى ، ملامح وحش لا يعرف الرحمة أو الشفقة ابداً .. وغمغم فى صوت كالزئير لرئيسه :

لسوف آتيك بها يا سـيدى قبل أن تغيب شمس ذلك النهار .. ولو اضطررت للتنقيب فى كل منزل فى إسرائيل .. واطلاق الرصاص على آلف شخص .. واندفع يغادر المكان كالمجنون .. وقد صار مثـل وحشى مسعور ’اطلق سراحه .

وقد كانت له ، برغم كل مساوئه ، مهارة مدهشة فى اقتناص ضـحاياه ، وقـد كـان ذلك لسـوء حظ (ايفا شارون) .

أو لسوء حظ (باروخ كوهين) !

* * *

الوحش فى المصيدة

اقتحم عدد من المدرعات والسيارات المصفحة المكان ، لتحاصر ذلك المنزل الصغير فى الحى الهادىء بأطراف (تل أبيب) ، وقفز من السيارات عدد كبير من ضباط العمليات الخاصة ، وقد تسلحوا بالمدافع الرشاشة وقنابل الغازات المسيلة للدموع فى حصار محكم حول المنزل .

وفى الحال تصدى لهم بعض رجال الشرطة ممن يقومون بحراسة المنزل شاهرين أسلحتهم النارية ، وصاح قائدهم فى رجال العمليات الخاصة :

ماذا تفعلون هنا . هذا هو منزل مدير الشرطة فابتعدوا عنه ، فهنا منطقة خاصة محذور الاقتراب منها .

زمجر (هارئيل) فى غضب لقائد الحراس :

ابتعد أنت أيها الأحمق من هنا وإلا جعلت من جسدك مصفاة للرصاص لن يقبل أى مدفن ما تبقى منه للدفن !

ولكن قائد الحراس كان عنيداً ولا يمكن اقناعه بسهولة .. وعندما حاول رجال الشرطة التدخل ، اسقطتهم رصاصات وحدة العمليات الخاصة جرحى ، وأطل مدير الشرطة من شرفة منزله صائحاً :

ما الذى يجرى هنا ؟

وبُهت عندما شاهد المدرعات والسيارات المصفحة ؛ فصاح بغضب شديد فى ضباط العمنيات الخاصة :

ما الذى جئتم تفعلونه هنا .. هل تقودون انقلاباً ؟

لوّح (هارئيل) بيده قائلاً لمدير الشرطة :

أسرع بمغادرة المنزل قبل أن نحوله إلى أنقاض .

صرخ مدير الشرطة : هل جُننت أيها الرجل .. ما الذى تقوله ؟

أجابه (هارئيل) فى صوت حانق :

إنها نهاية تستحقها أيها الغر الغافل .. فما لدينا من معلومات تؤكد لنا أن السفاحة الهاربة (ايفا شارون) تختبىء فى منزلك .. وهى آمنة مطمئنة إلى أن أحداً لن يفتش منزل مدير الشرطة بحثاً عنها .

انفجر مدير الشرطة فى غضب عارم ، فتناثر رزاز فمه فى كل اتجاه ، وهو يقول :

هل تتهمنى فى كفائتى أيها الرجل .. لسوف تدفع ثمناً غالياً لما تقوله و ...

وبتر المدير عبارته ، ففى اللحظة التالية دوى انفجار عنيف أطاح بنصف دستة من ضباط العمليات الخاصة ؛ واسقطهم على الأرض قتلى وجرحى .

كان وقع المباغتة صاعقاً ، حتى لمدير الشرطة الذى ألقى بنفسه على أرضية الشرفة مذهولاً ، وهو

لا يدرى من أين جاء ذلك الانفجار ؟ ولكن الجميع أفاقوا من المفاجأة عندما برزت (ايفا شارون) من فوق سطح المنزل ، وهى تحمل سلاحها الأثير بين يديها . « مدفع (آر بى جى) المضاد للدبابات » !

وصرخت (ايفا) فى المحتشدين بأسفل :

أيها الأوغاد .. لسوف أحصدكم جميعا .

اتسعت عينا مدير الشرطة فى ذهول حاد وهو يراقب (ايفا) وغمغم فى جنون قائلاً :

هل كنت تختبئين حقاً فى منزلى أيتها الماكرة ، وقد نقبت فى كل شبر بحثاً عنك ؟

وجاوبته (ايفا) بطلقة من مدفعها أصابت الشرفة ، ونثرتها إلى شظايا ، ورفعت مدير الشرطة فى الهواء أمتاراً عديدة ، ثم ألقته على الأرض مثخناً بالجراح ، وهو يئن فى ألم حاد ،

وصرخ (هارئيل) فى رجاله :

إننى أريد هذه الفتاة حية .

وفى الحال فتح الجحيم أبوابه فى المكان ،

وانطلقت آلاف الرصاصات نحو المنزل تخترق جدرانه ، وطارت عشرات القنابل المسيلة للدموع تجاه (ايفا) التى تحاشتها فى مهارة ، واطلقت الشقراء مدفعها فأطاحت بسيارتين مصفحتين بأسفل ، واسقطت عدداً من ضباطها قتلى وجرحى .. ودوت الانفجارات وازيز الرصاص فى كل مكان .

وقفز عدد من ضباط المهام الخاصة إلى داخل المنزل ؛ ولكن (ايفا) استقبلتهم بدفعة من الرصاص اسقطتهم بلا حراك .. ومن أعلى المبنى قفز ثلاثة من الضباط من طائرة هليكوبتر .. وقبل أن يمس أولهم سطح المنزل أطاحت به قدم (ايفا) فى وحشية ، فجعلته يطير ويتهاوى أسفل المنزل برأس محطمة .. وحصدت رصاصاتها المهاجم الثانى .. وانقض الثالث ليطوق عنقها من الخلف ، فزمجرت (ايفا) فى غضب وحشى : دعنى أيها الوغد .

وبحركة مصارعة رومانية بارعة جذبته من ذراعه واسقطته على الأرض ، وغرزت سن حذائها فى صدره ، فشهق الضابط شهقة تحطمت معها ضلوعه .

ومن أسفل صاح (هارئيل) فى ميكروفون :

استسلمى يـا (ايفا) وإلا ...

وقبل أن يكمل عبارته شاهد مدير الموساد غريمته وهى تصوب مدفعها المضاد للطائرات فى اتجاهه .. صوب رأسه بالضبط !

وأدرك (هارئيل) ما تنوى (ايفا) أن تفعله .. دون تردد ..

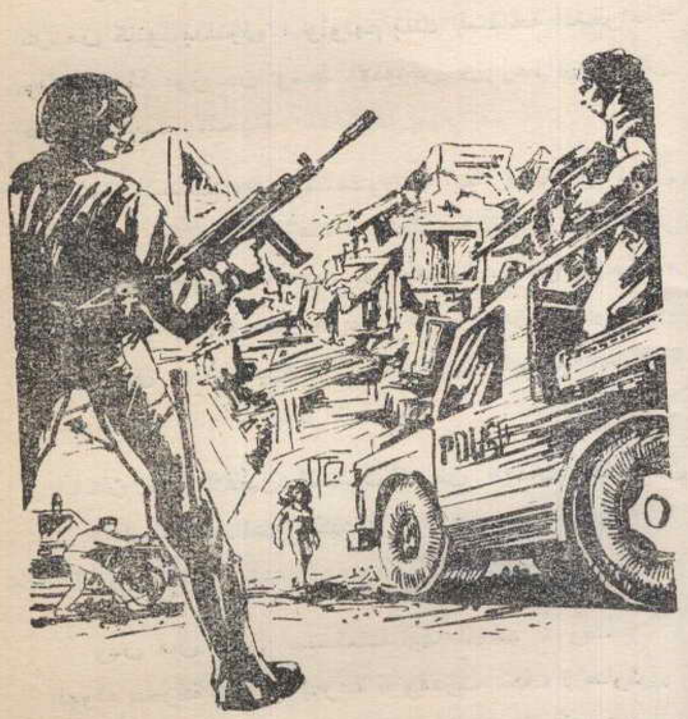
وبوحشية تعلمتها من صفوف الجيش ..

وقفز (هارئيل) فى اللحظة الأخيرة .. ولو بقى مكانه أقل من نصف ثانية لتحول إلى أشلاء مختلطة بسـيارته التى انفجـرت فى دوى رهيب ، وصرخ (هارئيل) فى رجاله بجنون :

انسفوها .. ولا تتركوا من جثتها أى بقايا يمكن لإنسان أن يتعرف عليها .

وفى الحال صوب الضباط مدافع مدرعاتهم نحو المنزل .

وانطلقت ست قذائف أطاحت بنصف المنزل العلوى وجعلته يتفجر فى مشهد مخيف .. واشتعلت النيران



شهق الجميع وهم يشاهدون (ايفا) تغـادر المنزل المحترق .

فيما تبقى منه .. وتوقف اطلاق الرصاص والمدافع بعد انهيار المنزل واشتعاله .. وكان من المؤكد وفاة كل من كانوا بالمنزل ، وأولهم تلك السفاحة الشقراء ؛ ولكن شيئاً برز من وسط الانقاض فى إصرار مدهش على التشبث بالحياة .

شهق الجميع وهم يشاهدون (ايفا) تغادر المنزل المحترق .. وقد تمزقت بذتها العسكرية ، وتناثر الرماد على وجهها دون أن يمسها خدش واحد . كانت تبدو مثل وحش جريح . خسر معركته مرغماً .

واطلق (هارئيل) ضحكة عالية للمشهد أمامه ، وتحرك فى اتجاه الشقراء قائلاً :

كان من الأفضل استسلامك من البداية بدلاً من كل ذلك العناء الذى تكبدته .

وأجابته (ايفا) فى صوت وحشى :

ومن قال اننى استسلمت أيها الوغد ؟ وطارت فى الهواء بحركة كاراتيه بارعة ، وقفزت خلف (هارئيل) لتطوق رقبته من الخلف ، واستلت سكيناً من حزام خلف ساقها ألصقت نصله بعنق (هارئيل) وصاحت

فى رجاله منتشية : هيا فليحاول أحدكم إنقاذ هـذا التعس ، ليلاقى المصير الذى يستحقه .

جمد ضباط العمليات الخاصة أماكنهم . كـانت المباغتة اسرع من أى رد فعل .. وتجمدت أصابعهم فوق أزندة مدافعهم الرشاشة .

وصاح (هـارئيل) فى رجـاله مرتعباً ، وقـد تجمدت قطرات عرق غزيرة فوق جبهته :

توقفوا . لا تطلقوا الرصاص . فتراخت أيـدى الضباط فوق أسلحتهم فى الحال ، واطلقت (ايفا) ضحكة وحشـية بترتها بغتة ، وهى تقـول لمن يحاصروها :

هذا أفضل .. والآن جهزوا لى طائرة عموديـة لمغادرة المكان مع هذا الوغد ..

وفى اللحظة التالية .. انبعث صوت من الخلف يقول :

سوف تغادرين هذا المكان بكل تاكيد !

استدارت (ايفا) مندهشـة وذراعهـا لايـزال

يقبض على عنق (هارئيل) .. ووقع بصرها على (عيزرايخمان) مدير الموساد . كانت تعرف ذلك الرجل بكل تأكيد .. وكان وجوده فى نفس المكان فى تلك اللحظة يجعل للموقف أبعاداً لم تخطر ببالها ابداً . فلم تفكر للحظة أن الموساد يمكن أن تهتم بها أو تسعى خلفها .. واطبق (عيزر) أصابعه على سيجاره قائلاً (لإيفا) :

دعينا ننهى هذه اللعبة .. فهناك ما هو أهم منها بالنسبة لنا .. ولك .. وليس هناك وقت لإهداره فى مثل تلك الألعاب الصغيرة .

شددت (ايفا) ذراعها حول عنق (هارئيل) وصاحت فى غضب :

لست أدرى عما تتحدث أيها الرجل ، فلا علاقة لى بكم .. وكل ما أرجوه هو السماح لى بمغادرة هذا المكان سالمة ، وإلا جززت عنق ذلك الرجل ، وفصلت رأسه عن جسده .

وضغطت نصل السكين فى عنق (هارئيل) الذى صرخ من الألم .. وبصق (عيزر) على الأرض احتقاراً قائلاً (لهارئيل) :

فلتطلق مزيداً من النباح ايها الغبى ، فإنك تستحق كل ما يجرى لك .

وأشار بيده إشارة ذات دلالة .. وفى الحال اطلقت طلقة من مسدس خاص أصابت ذراع (ايفا) التى احست بالمخدر يسرى فى عروقها .. وأصابها ذلك بجنون .. جنون وحشى مطبق .

ودفعت نصل السكين فى عنق (هارئيل) بكل ما تبقى لها من قوة ؛ ولكن اثنين من ضباط الموساد اندفعا نحوها ليشلا حركتها .

وحاولت (ايفا) المقاومة ؛ ولكنها أحست بالمخدر يسلبها قوتها ، وكان اخر ما وقع عليه بصرها هو قلم أحد الضابطين المعلق فى جيب سترته .. وفى وحشية انتزعت (ايفا) القلم بعد أن حررت ذراعيها ، ثم غرست سن القلم الحاد فى عنق أقرب الضابطين !

* * *

وافاقت بعد أقل من ساعة .. ووجدت نفسها ممددة فوق فراش خشن فى حجرة شبه معتمة وحولها رجلان وحيدان يحدقان فيها ، وينتظران إفاقتها على أحر من الجمر .. أولهما (هارئيل شاحال)

الذى احاط عنقه برباط طبى وبدت فى عينيه كراهية عميقة لها .. والآخر (عيزر ايخمان) مدير الموساد الذى راح يحدجها بنظـرات قصيرة غامضـة لا تشى بمـا وراءها .

ولم يكن لديها من شك فى أنها ترقد فى تلك اللحظة داخل مبنى الموساد ، وأن مصيراً مجهولاً ينتظرها .. وانتفضت (ايفا) فى غضب صارخة :

ماذا تريد منى ؟ إننى لـم أفعل شـيئاً فى حق الموسـاد لتتدخلوا فى الأمـر إننى أريـد محـاكمة عادلة و ...

قاطعها (هارئيل) فى غضب حاد :

صه أيتها الوقحة وإلا أخمدت أنفاسك بيـدى ؛ ولن يجرؤ أحدهم عن أن يسأل عن مصير سفاحة قتلت حتى الآن عشرة رجال ، وجرحت ما لا يقل عن ثلاثين .

بصقت (ايفا) عـلى الأرض فى كراهيـة ، وقـالت :

مهما فعلت فلا يحق لكما محاكمتى ، ولا جلبى إلى هذا المكان ، فإننا فى دولة ديموقراطية !

مال (عيزر) برأسـه للأمـام نحو (ايفـا) قائلاً فى لهجة خاصة :

اللعنة على تلك الديموقراطية التى تتحدثين عنها فأنت تعرفين أننا قادرون على أن نفعل ما نريد ، فيمكننا مثلاً أن نعاجلك بطلقة رصاص وحيدة فى القلب .. ونقول إنها أصابتك أثناء محاولتك الهرب ، أو أن نحقنك بمحلول سام يبدو مفعوله وكأنه أزمة قلبية .. وهناك وسـائل أخـرى للتخلص منك فى هدوء ، ودون ضجيج ، أو إثارة للشبهات ، وخاصة وإن عزيزى (هارئيل) لايزال جرح رقبته ونصـل سكينك يؤلمانه حتى الآن ؛ ولن يسعده أكثر مـن أن يـرد لك الصـاع اثنين ، بحيث يبـدو الأمـر ديموقراطياً تماماً !

حدقت (ايفا) فى الوجهين المحملقين فيهـا ، وادركت أنها صارت فى قلب لعبة خطرة لا تدرى عنها شيئاً .. فغمغمت تقول :

ماذا تريدان منى ؟

أجابها (عيزر) فى بطء :

إنها مهمة صغيرة مطلوب منك القيام بها .. وفى

المقابل ستحصلين على حريتك .. وستسقط عنك كل التهم السابقة .. بل يمكنك بعدها الحصول على وظيفة دائمة فى جهاز يتمنى الآلاف الانضمام إليه .. ولا شك إنك تفهمين ما أعنيه ..

التمعت عينا (ايفا) وغمغمت غير مصدقة :

لقد فهمت .. لهذا سعيتما للقبض علىّ ، وابقيتمانى حية حتى الآن .. والآن دعانى أعرف عن تلك المهمة القادمة قبل أن تسمعا ردى .

هز (هارئيل) رأسه فى كراهية مجيباً : ليس أمامك فرصة للاختيار ، فإما القبول أو ..

وبتر عبارته .. وكان تلميحه صريحاً برغم صمته .

وابتلعت (ايفا) لعابها .. وبدا لها أن مصيرها قد تقرر فى تلك اللحظة بطريقة مدهشة ، وأن مسألة انضمامها للموساد التى حلمت بها عمرها كله ، قد تحققت بصورة أقرب إلى الخيال .. وغمغمت فى صوت كالفحيح :

وهل تتطلب منى هذه المهمة .. القتال ؟

أومأ الرجلان برأسيهما مجيبين بنعم ، وهما يحدقان فى الحسناء الشقراء متمعنين رد فعلها ..

والتمعت عينا (ايفا) بقوة . كان ذلك أكثر مما حلمت به عمرها كله لإشباع غريزتها الوحشية فى إزهاق الأرواح ، وسفك الدماء .. وانتشلها صوت (عيزر) من أفكارها قائلاً :

والآن سنقص عليك ما هو مطلوب منك بدقة ، فلا وقت هناك للضياع .. وأخذت (ايفا) تنصت وتستمع لما يقوله (عيزرايخمان) ومساعده .. وعيناها تزدادان اتساعاً ، وأنفاسها تتسارع أكثر .. وقد تحولت صاحبتهما إلى وحش دموى . وحش لا ينتظر غير حل قيوده ليمارس متعته الأثيرة .. القتل .. وبلا رحمة !

* * *

الفصل السابع

سقوط .. بطل !

توقفت سيارة مرسيدس حمراء أمام بوابة الميناء ..
وغادرها (أحمد الزيادى) و (باروخ كوهين)
وقد تغيرت هيئة كل منهما ، بحيث كان مستحيلاً
التعرف عليهما ، حتى لمن يعرفهما أشد المعرفة ،
وعانق (الزيادى) (باروخ) بقوة قائلاً :

سوف تصل إلى (مصر) بعد ثلاثة أيام ، فبلغ
تحياتى للجميع .

تلفت (باروخ) حوله فى قلق ، وتساءل فى
همس :

ألم يكن من الأفضل عودتى بالطائرة ؟

اجابه (الزيادى) : لا تخشى شيئاً ، فسوف تكون تحت حراسة رجالنا حتى وأنت فوق الباخرة ، ولا تنسى أنك منذ هذه اللحظة رجل الأعمال الكندى (ايان ماكلين) واضاف فى لهجة مطمئنة :

إن (باروخ كوهين) هو رجل ميت بالنسبة للإسرائيليين .. فلا تشغل نفسك بأمره كثيراً .. وتمتع برحلتك ، ومن ناحيتى أؤكد لك أن تلك السفينة التى ستعود بك إلى (مصر) لا تحمل يهودياً واحداً ، ولا أى من عملاء الموساد ، فقد فحصت قائمة الأسماء بنفسى .

أومأ (باروخ) برأسه فى ارتياح .. وصافح (الزيادى) فى قوة ، ثم اتجه إلى الميناء .. وكانت أوراقه الجديدة من الدقة بحيث إنها لم تثر شبهة ضباط الجوازات .. وبعد دقائق كان يقف فوق حاجز السفينة الكبيرة ، وهو يتطلع إلى الشاطىء اليونانى .
وأحس أن هناك عيوناً تراقبه خفية .. وكان من السهل عليه أن يميز ثلاثة أشخاص بوجوه مصريين

الشبان يبدون فى منتهى القوة والحذر ، وقد أحاطوا به على البعد دون أن يدعوه يغيب عن عيونهم ؛ ولم يكن (باروخ) فى حاجة لمن يخبره أنهم من رجال المخابرات المصرية ، وأنهم يقومون بمهمة حمايته خير قيام .

واطلقت السفينة صفاراتها الأخيرة ، ورفع بحارتها مرساتها ، ثم تحركت صوب البحر المتسع .

بقى (أحمد الزيادى) مكانه حتى صارت السفينة بقعة صغيرة فى قلب البحر ..

وتنهد فى ارتياح ، لقد أتم مهمته خير قيام تماماً مثل مهام أخرى كثيرة منذ وطأ الأرض اليونانية قبل أعـوام .

كان يؤمن دائماً بالعمل النظيف ؛ ولم يكن يلجأ إلى استخدام العنف أو الرصاص ، فقد كان يعتبر ذلك وسيلة العاجزين دائماً .. حتى فى المخابرات ، وها هو قد أتم مهمته دون اطلاق رصاصة واحدة ؛ ولم يعد باقياً له فى (اثينا) أكثر من بضعة أيام قبل أن يعود بدوره إلى (القاهرة) .

لقد حان أخيراً أوان توديع العمل الساخن بعد أن بلغ الخامسة والأربعين من عمره .. وجاء وقت الراحة والعمل الإدارى .. وكم كانت كراهيته للأعمال الإدارية ؛ ولكنه كان أمراً لا مفر منه . كانت متعته الحقيقية مواجهة الخطر ، ومصارعة الأعداء والتخطيط ببراعة لمناورة الخصم وإلحاق الهزيمة به ؛ ولكن عليه بحكم السن وقوانين عمله ، أن يساعد فى إنشاء وتدريب جيل تال له يتمتع بالخبرة والمهارة ، وحماسة الشباب وقوته .

كانت تلك هى المهمة الأخيرة ، وقد حان وقت الركون إلى المكتب ومطالعة التقارير الروتينية .

وتنهد (الزيادى) فى بعض الحزن .

مرت السنون سريعاً ؛ ولكن كانت زوجته وطفله ينتظراه فى القاهرة .. وكانت عودته تضمن بقاءه إلى جوارهما باستمرار .. وفى ذلك بعض العزاء له من اعتزال عمله الأثير ، ولم يشأ أن يتجه إلى سيارته على الفور ، فقصد مقهى الميناء الذى يعج بشتى أنواع البشر ، واحتل منضدة فى الركن

وطلب قهوة احتساها فى بطء ، وهو غارق فى أفكاره .. والواقع ان (الزيادى) كان غارقاً فى أفكاره أكثر مما ينبغى لرجل المخابرات يحتل مكانا مرموقاً مثله ، فلو كان أقل فى العمر بضع سنوات لربما تنبه إلى إنه مراقب .. وأنه لم يغب عن عيون بعض الأشخاص منذ وقت ، وقبل أن تطأ قدماه الميناء بوقت طويل .

فذلك النادل الأشقر ، كان يبدو متطلعاً إليه ومراقباً كل تحركاته أكثر من اهتمامه بتلبية طلبات زبائنه .. وتلك الفتاة السمراء اللاهية ، التى راحت تمشط شعرها ، كانت فى الواقع تلتقط له فيلماً بكاميرا دقيقة جداً .. وكأنها ترغب فى الحصول على وثيقة ما للاحتفاظ بها للذكرى فى مكان خاص .

غادر (الزيادى) مقعده .. ومنح النادل بقشيشاً سخياً ، ثم أخذ طريقه إلى الخارج .. واشتم رائحة البحر والهواء الطازج .. وجعله ذلك يفيق من شروده ويبتسم .. وتوقف أمام باب سيارته ، ودس مفاتحها فى قفل بابها ، ثم أخذ مكانه إلى عجلة

القيادة . وزفر بقوة ثم دس المفتاح في قفل الموتور وأداره .. وفى اللحظة التالية .. دوى انفجار هائل أطاح بالسيارة ، وحوّلها إلى كتلة مشتعلة من اللهب بمن فيها .. واندفع العشرات صارخين فى كل مكان ، هاربين من الجحيم المشتعل المتفجر ، غير أن فتاة وحيدة بقت مكانها على مسافة صغيرة ، وهى تسوى شعرها .. وفى الواقع فقد كانت تلتقط فيلماً بكاميرتها الدقيقة ، لتصور النهاية المأساوية الحزينة لرجل خدم بلاده بإخلاص حتى آخر رمق .. وسقط بطلاً .. وكان منتظراً يستحق أن يحتل الفيلم مكانه .. فى أرشيف الموساد !

* * *

أوشكت الشمس على الغروب ، عندما بدا على البعد من السفينة اليونانية ، قارب صغير تعبث به الأمواج ، وتضربه الرياح من كل جانب .. وحدّق مساعد الربان فى القارب ، عبر نظارته المقربة ، تحت آخر آشعة الشمس الغاربة ، وغمغم فى ذهول :

هذا مستحيل .. قارب تضربه الأمواج دون

شراع ، وترقد بداخله امرأة شقراء تبدو فاقدة الوعى !

وهرع إلى الربان الذى التقط النظارة المقربة بدوره وصوبها إلى القارب ، وغمغم فى ذهول :

لابد أن شيئاً أصاب بقية ركاب القارب .. ومن المؤكد أن تلك المرأة الراقدة فيه تنتظر المساعدة .. وصاح فى ملاحيه :

غيروا اتجاه السفينة .. سوف نلتقط راكبة ذلك القارب .

وفى الحال شرع الضباط والملاحين فى تغيير وجهة السفينة .. وقبل أن تمر عشر دقائق كانت السفينة تتوقف بمحاذاة القارب ، وقفز منها ثلاثة بحارة أشداء ، ربطوا القارب بحبال غليظة تدلت من رافعة فوق ظهر السفينة ، وبعد دقائق استقر القارب فوق سطح السفينة ، واندفع طبيب لقياس نبض المرأة المسجاة داخل القارب ، ثم قال :

إن نبضها منخفض قليلاً .. ولسوف تستعيد وعيها قريباً ، فهى تعانى من صدمة عصبية فيما يبدو . صاح الربان فى مساعديه :

خذوا المرأة إلى قمرتى ، ودعوهـا حتى تفيق لتخبرنا بقصتها ، وسر ما جرى لبقية ركاب قاربها .
حمل اثنان من البحارة المرأة إلى قمرة الربان .. ومـا كادا يغلقان الباب عليها بعد انصرافهما ، حتى اعتلت المرأة فى فراشها ، وشرعت فى العمل عـلى الفور ، فقد كانت (ايفا) تعى أهمية الوقت تماماً . كانت ثمة بذلة ضابط معلقة على الجدار ، فارتدتها بسرعة ، واستولت على سلاح الربان النارى من درج مكتبه .. ومـا كانت تمد يدها إلى مقبض بـاب القمرة ، حتى انفتح الباب وبدا الربان فى الناحية الأخرى ، وحدّق فى (ايفا) ذاهلاً ، وغمغم غير مصـدق :

ولكنك كنت قبل لحظات فاقدة الوعى و ...

قاطعته (ايفا) فى لهجة باردة :

لقد سعيت لتقديم شكرى لك بأسرع ما يمكننى ..
وطارت قبضتها إلى فكه وهى تردف : أيها الغبى الأحمق .

وترنح الربـان للوراء ؛ ولكن (ايفـا) جذبته

للداخل .. ودقت رأسه فى الجدار ، فجحظت عينا الربان ، ثم تهاوى على الأرض دون حراك برأس مشجوجة .. وقفزت (ايفا) خارجة بعد أن أغلقت الباب وراءها .. وكان الطريق إلى هدفها قريباً فى نهاية الممر ، ومرت فى طريقها بضباط المخابرات المصريين الثلاثة ؛ ولكنها لم تلفت انتباه أحدهم ، فقد كان جمالها خير ستار لنواياها دائماً !

وطرقت باب القمرة بهدوء .. وجاءها صـوت من الداخل متساءلاً : من بالباب ؟

أجابته (ايفا) فى لهجة ناعمة :

هناك برقية قادمة من (أثينا) لك يا سيدى .
غمغم (باروخ) بدهشة : برقية !

وفتح الباب وأطل نحو (ايفا) ، فجـاوبته بابتسامة رائعة قائلة :

إن ضابط الاتصال يرغب فى تسليمها لك شخصياً .. فهو يقول إنها بالغة السرية .

بدت الحيرة على وجه (باروخ) .. وغمغم فى دهشة : ولكن .

وقبل أن يكمل (باروخ) عبارته · دشت (ايفا) فوهة المسدس فى صدره ، وابتسامتها قد ازدادت اتساعاً ، فجحظت عينا (باروخ) للمفاجأة ، وقالت (ايفا) ساخرة :

لسوء الحظ فيلس لدىّ متسع من الوقت لمزيد من الجدل معك أيها الخائن ·· والآن تحرك معى بهدوء ، وإلا كانت نهايتك ·· فسوف تعود إلى نفس المكان الذى هربت منه ، فهناك من ينتظرك فيه على أحر من الجمر ، ليكافئك بالطريقة المناسبة على فعلتك ·

ودفعت (باروخ) فى عنف ؛ ولكن ومن نهاية الممر علا صوت حاد يقول :

ماذا يحدث هناك ؟

واندفع ضباط المخابرات الثلاث ، وقد امتدت أيديهم إلى أسلحتهم بأسرع من البرق ؛ ولكن (ايفا) كانت أسبق فى العمل كعادتها دائماً ·· وانطلقت رصاصة أصابت أحد الضباط فى ساقه · فاسقطته على الأرض وهو يئن من الألم ·

وأصابت الثانية كتف آخر ، فجعلته يصطدم بالحائط خلفه ويسقط مسدسه من يده ·· وقفزت (ايفا) وهى تجذب (باروخ) من ذراعه نحو السلم المتجه إلى أعلى ·· وكان من الجنون أن يحاول الضابط الثالث اطلاق الرصاص ، وإلا أصاب (باروخ) ، فاندفع نحو السلم ، وما كاد يطل برأسه حتى هوت فوقها ضربة قاسية ، وترنح الضابط ؛ ولكنه تماسك ، واطلق رصاصة طائشة ؛ ولكن (ايفا) انتهزت الفرصة ، وقفزت إلى السطح وهى تجذب (باروخ) فى عنف ، وقد اتخذت منه ستاراً لحماية نفسها ·

واندفع نحوها عدد من ضباط أمن السفينة ، وقد اجتذبهم صوت الرصاص ؛ ولكن (ايفا) قابلتهم برصاصاتها ، وهى تصرخ :

افسحوا الطريق أيها الأغبياء ؛ وإلا كانت نهايتكم ·

وسقط ثلاثة من رجال أمن السفينة ·· وصرخ الباقون وشرعوا فى الابتعاد مفسحين الطريق لايفا ، فجذبت (باروخ) الذى انقاد لها مرتعباً إلى ركن السفينة ؛ ولكن مزيداً من ضباط الأمن اندفعوا إلى

السطح ، وخلفهم رجال المخابرات الثلاثة المصابين ، وطوقوا (ايفا) من ثلاثة أركان ، شاهرين أسلحتهم .. وصاح أحدهم فيها :

استسلمى أيتها الذئبة ، فلا مهرب أو نجاة لك .

ولكن (ايفا) ألصقت فوهة مسدسها برقبة (باروخ) صارخة :

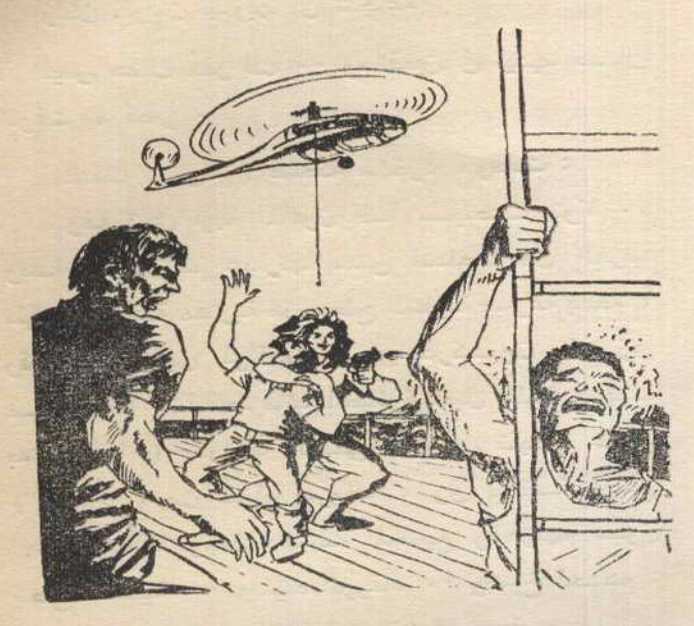
إذا حاول أحدكم الاقتراب منى ، قتلت هذا الوغد .

تبادل ضباط المخابرات الثلاث النظرات الحائرة ، واندفع الريان من الخارج وقد ظهر شج عميق فى جبهته ، واقترب من (ايفا) وتوقف على مسافة أمتار منها ، وفى غضب عظيم صاح بها :

إننى لا أدرى من تكونين أيتها الفتاة ، ولا لماذا احتلت لركوب السفينة ، واختطاف ذلك الرجل مهما كلفك هذا العمل من ضحايا .. ولكننى أعدك إن استسلمت بمحاكمة عادلة .

جزت (ايفا) على أسنانها قائلة :

ابتعد عنى أيها الغبى ؛ وإلا أخرستك إلى الأبد .



اندفعت من الغرب طائرة عمودية مقتربة من سطح السفينة .

ولكن الربان جاوبها فى شجاعة :

ليس هناك مفر لك ·· وستقعين فى أيدينا طال الوقت أم قصر ·

اطلقت (ايفا) ضحكة ساخرة ، وقالت :

سوف ترى أيها المأفون ما سيحدث توا ·· وما كادت تتم عبارتها حتى اندفعت من الغرب طائرة عمودية مقتربة من سطح السفينة بسرعة بالغة ، وقبل أن يفيق الواقفون ، أو يدركون مغزى ما يحدث ، أسقط قائد الطائرة حبل غليظ تشبثت به (ايفا) بذراعها اليمنى ، وهى تقبض على (باروخ) من حزام سرواله ، وفى لحظة ارتفع الاثنان عالياً وسط دهشة الجميع وذهولهم فوق سطح السفينة ·· والمياه الزرقاء ·· وصرخ أحدهم :

ليمنع شخص ما فرار هذه المجرمة ·

ودوت بضعة رصاصات طائشة لم تصب إحداها الهدف ، وما كادت (ايفا) تستقر داخل الطائرة ومعها (باروخ) حتى عاجلته بضربة من مؤخرة مسدسها ، أفقدته وعيه ، ثم التقطت سلاحها المفضل

من قلب الطائرة · مدفع الـ (آر بى جى) وصوبته إلى سطح السفينة ·

واطلقت (ايفا) قذيفتها دون رحمة أو شفقة ·

وانفجرت القذيفة فوق سطح السفينة فشطرتها نصفين ، واندلعت فيها النيران من كل جانب ، وقد تحول سطح المياه إلى جحيم حقيقى · امتلأ بالضحايا والمصابين ··

ومن أعلى راحت (ايفا) تراقب المشهد الدامى ، وهى تطلق ضحكاتها الوحشية ·

فقد اشبعت رغبتها ·· إلى حين !

الفصل الثامن

قلعة الرعب

أخذ المقرىء يتلو آيات الذكر الحكيم .. وامتدت الأيدى لتوارى جسد (الزيادى) أو ما تبقى منه داخل مقبرة الأسرة .

كان المشهد مهيباً أليماً ، وقد وقفت زوجة (الزيادى) فى ملابس الحداد السوداء برأس مرفوعة فى اعتداد وشموخ . كاتمة دموعها بين مقلتيها ، وقد تشبثت بطفلها ذى السنوات الست الذى لا يدرى سر ما يدور حوله ، وإن كان جلال الموقف ومهابته ،

قد جعلاه يراقب مـا يدور حوله فى سكون ، وقـد احتل حزناً عميقاً شغاف قلبه دون أن يدرى لـه سـبباً .

وعلى مسافة قريبة وقف عدد من رجال المخابرات المصرية ، منهم كثيرون زاملوا (احمد الزيادى) من قبل وعرفوه عن قرب ، وأحبوه ، وآخرين لـم يسعدهم الحظ بالعمل إلى قربه ؛ ولكنهم سمعوا عنه الكثير ، وجاءوا لتوديع بطل إلى مثواه الأخير .

ظل (مراد عزمى) مكانه يتابع اجراءات الدفن فى صمت مطبق .. وجاهد لإخفاء مشاعره الخاصة ، وقد قفزت إلى ذهنه ذكرى أليمة لم تمر عليها بضع سنوات ، وهو يودع صديق عمره البطل (شريف حازم) إلى مثواه الأخير .

وتساءل (مراد) إن كان ذلك هو مصير كـل رجل مخابرات فى النهاية .. رصاصـة فى القلب أو قنبلة تنفجر داخل سيارة ؟

وأفاق على صوت (فخرى سيف) وهو يقول :
لقد كان (أحمد الزيادى) بطلاً بحق . قـدم

حياته فداءً لوطنه .. وسنظل نذكره جميعاً ولن ننساه ابداً ، فما أعظم المهام الجليلة التى قدمها لمصر .. والانتصارات التى حققها لها .

أومأ (القناص) برأسـه فى صـمت وحـزن ..

وأحس بيد توضع على كتفه من الخلف ، واستدار فشاهد مدير المخابرات وقد اخفى عينيه خلف نظارة سوداء ، وقال فى صوت عميق :

سوف نثأر (للزيادى) ، إن الثأر والانتقام ليسو من أخلاقنا ؛ ولكن العدو لم يترك لنا أى خيار آخر بعد مـا فعله .

أجابه (مراد) فى لهجة حاسمة :

لن تضيع دماء (أحمد الزيادى) هدراً يا سيدى .. ولسوف يدفع من فعلوا به ذلك ، الثمن غالياً جداً ، بل أغلى مما يتصور أى إنسان .

رمق مدير المخابرات (مراد) بنظرة قصيرة ، وغمغم قائلاً :

سـوف أنتظرك فى مكتبى بعـد انتهاء مراسـم الدفن .. وصافح (فخرى) سيف وهو يقول :

لا تتأخر أيضاً • فأمامنا عمل هام وعاجل •

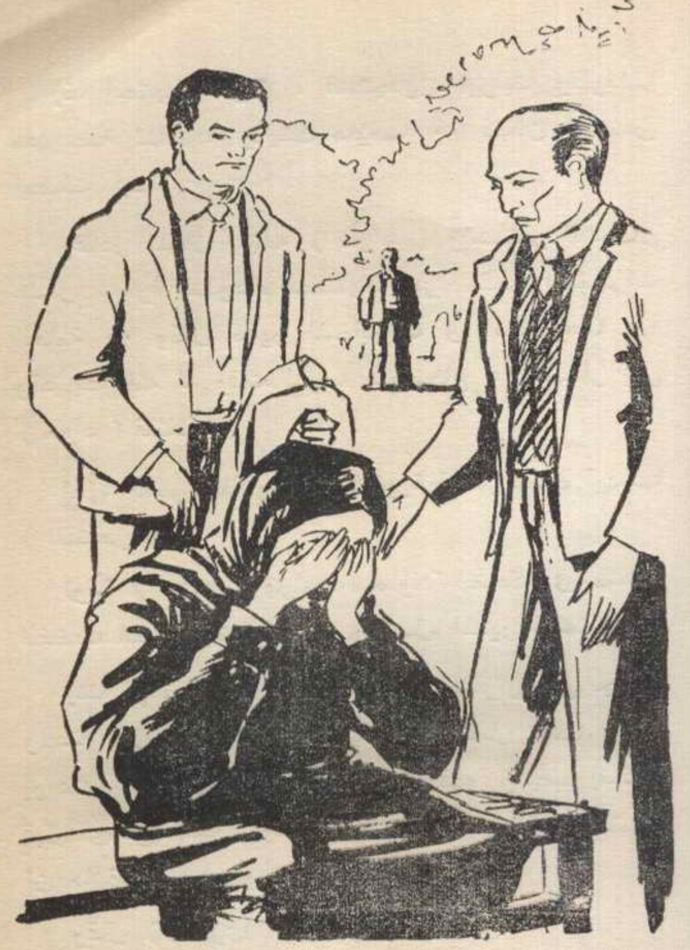
أومأ (فخرى) برأسه صامتاً دون أن يغـادره الحزن الذى يكسو وجهه ، وصافح مدير المخابرات زوجة الشهيد ، التى لمعت بعض الدموع الملتهبة فى عينيها ، وقد فقدت قدرتها على التماسك فانهارت فوق أقرب شىء •

واقترب (القناص) منها •• وتساءل فى صمت وحزن إن كان انصرافه عن الزواج راجعاً لخشيته أن يترك وراءه أرملة وأطفالاً أيتام يوماً مـا ؟

وصافح (القناص) الزوجة فى حزن هامساً لها فى صوت يقطر غضباً :

ثقى أن دماء زوجك وتضحيته لن يكونا بلا ثمن ، بل إن المعتدين سينالون عقاباً أليماً •

ورفع الطفل بين ذراعيه ، وتأمله فى صمت حزين للحظة • كان الطفل شـبيهاً بأبيه فى نـواح كثيرة • شموخ الجبهة واتساعها ، راستقامة الأنف ، وتلك النظرة الذكية فى العينين •• واحتضن (مراد) الطفل وربت فوق رأسه وهو يجاهد لكبت مشاعره •• وقال (فخرى) للأرملة الحزينة :



قال (فخرى) للأرملـة الحزينـة : إذا احتجت شيئاً فستجدين أبوابنا وقلوبنا مفتوحة لك •

إذا احتجت شيئاً ، فستجدين أبوابنا وقلوبنا مفتوحة لك ، ولابنك دائماً .. فنحن لا ننسى أبطالنا ابداً .

وغادر المكان يتبعه (مراد) واستقر الاثنان داخل سيارة سوداء حملتهما إلى مقر المخابرات العامة .. وكان مدير المخابرات فى انتظارهما .. وقد بدا انه لا وقت لديه للضياع ، فاشار إلى (مراد) قائلاً :

لعل بعض المعلومات الاخيرة قد بلغتك أيها (القناص) !

أومأ (مراد) برأسه محاولاً التحكم فى مشاعر الغضب التى اجتاحته .. وواصل المدير قائلاً :

إننا لم نجبر (باروخ) على الفرار إلى جانبنا ومدنا بكل تلك المعلومات ، فقد فعل ذلك بكامل إرادته ، وكان علينا مساعدته فهو واجب إنسانى قبل أى شىء آخر ؛ ولكنهم على الجانب الآخر اعتبروا أن ما قمنا به يعتبر عدوانا عليهم .

وقال (فخرى) فى ضيق لا يخفى :

لقد ظننا أننا تمكنا من خداع الموساد بتلك الجثة الزائفة ؛ ولكن يبدو أنهم اكتشفوا الحقيقة بطريقة ما ؛ ولذلك بادروا باختطاف (باروخ) واستعادته مرة أخرى بعملية قرصنة ليست غريبة على الموساد ؛ برغم كل احتياطات الأمن التى اتخذناها لحمايته ؛ ولكنهم استعانوا تلك المرة بعميل غير معروف لنا على الإطلاق . امرأة بارعة الجمال .. وشديدة الخطورة أيضاً وبعد اختطافها (لباروخ) نسفت السفينة التى كانت تقله دون رحمة .. ولولا إسراع بعض السفن القريبة بانتشال ركاب السفينة ، لكان الضحايا بالمئات .

وصمت مدير المخابرات ، ثم واصل :

وقد خطط الموساد لاغتيال (الزيادى) عقاباً له على كل ما أنزله بهم من هزائم .. وافلحوا فى اقتناصه هذه المرة .. وانقلب انتصارنا على الموساد إلى هزيمة قاسية تردد صداها فى العالم كله !

وأشعل (فخرى) سيجاراً فى توتر ، وهو يقول :

ومن جانبهم ، فإن الإسرائيليين لم يدخروا أى

جهد للإعلان عن انتصارهم الأخير ضدنا فى كل مكان فى العالم .. وهم يحاولون ان ينسجوا أسطورة المخابرات التى لا تقهر بالنسبة لهم بعد نجاحهم فى استعادة (باروخ) .

قال (القناص) فى صوت صارم :

إنهم لن يهنأوا بنجاحهم طويلاً يا سيدى .. ولسوف يعانون مرارة الفشل فى القريب العاجل .

تساءل مدير المخابرات فى صوت لا يخلو من إيحاء :

كيف ذلك أيها (القناص) وقد اختطفوا (باروخ) ؟

هز المدير رأسه فى أسف قائلاً :

هذا حلم شبه مستحيل .. فليس من شك أن الموساد ستحاكم (باروخ) وأنه سيقضى بقية حياته فى أحد سجونها الرهيبة .. ومهما حاول عملاؤنا فى (إسرائيل) فلن يتمكنوا من دخول ذلك السجن ابداً .. وتحرير (باروخ) .

نقر (القناص) على طرف المائدة أمامه ، وقال فى صوت عميق :

إنك لن تحتاج إلى عملائك فى (اسرائيل) يا سيدى ، والمخاطرة بكشفهم وفقدانهم فى هذه المغامرة الخطرة ، فهذه المهمة لابد أن يقوم بها شخص وحيد .. سيأتى من مكان بعيد ليحول انتصار الموساد إلى هزيمة . أزاح مدير المخابرات انتصار الموساد إلى هزيمة .

أزاح مدير المخابرات النظارة السوداء عن عينيه ، وغمغم فى عدم تصديق :

لا تخبرنى إنك ترغب فى المخاطرة واقتحام وكر الشياطين .

أجابه (القناص) وعيناه تومضان بشدة :

بل هذا هو ما انتويته يا سيدى ، عندما شاهدت جثة (أحمد الزيادى) وهى توارى التراب .. فلابد أن يكون الثأر مساوياً لقدر العدوان .

شاعت ابتسامة عريضة على وجه السيد (فخرى) وقال فى ارتياح :

هذا ما كنت أتوقع سماعه منك أيها (القناص) ، فقد جسدت كل ما كان يدور فى خيالى ، ولو أتيح

لى أن استعيد بعضاً من حيوية الشباب ، لغامرت بتلك المهمة بنفسى .

وشى صوت المدير بكثير من التردد وهو يقول :

ولكن .

وصمت وقد حسم تردده . كان (القناص) على حق .. فلا بد أن يساوى الثار العدوان .. ولن يكون ابرع من أن يغزو بطل مصرى الموساد فى عقر دارها ، ويستعيد منها ما سلبته .. ليتحول نصرها إلى هزيمة منكرة .. ويلقنها درساً قاسياً فوق ارضها .

كانت المهمة بالغة الخطورة بكل تأكيد .. ولا تزيد نسبة نجاحها عن واحد فى الألف ؛ ولكن .. من غير (القناص) كان قادراً على المخاطرة بمثل تلك المهمة فى قلب الجحيم .. ولو لم تكن هناك أدنى فرصة للنجاح ؟

وهب مدير المخابرات وهو يقول بعينين ملتمعتين (لمراد) :

سوف تكون كل الأوراق اللازمة لسفرك

(إسرائيل) جاهزة قبل منتصف الليل .. وسيكون لك مطلق الحرية فى الحركة هناك .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى صوت عميق بارد :

ولكنى أحذرك ، ففى حالة سقوطك فى أيدى الإسرائيليين ، وانكشاف مهمتك فلن نستطيع أن نقدم لك أى مساعدة ، بل سندعى عدم معرفتنا بأى شىء ، فنحن لا نرغب فى الخروج عن إطار هذه اللعبة حتى فى مهمتك ، فهناك سلام بارد بيننا مع إسرائيل ونحن لا نرغب فى الخروج عن اطار هذه اللعبة حتى تتضح الأمور أكثر .

ارتسمت ابتسامة قاسية إلى أقصى حد فوق شفتى (القناص) وقال فى صوت يقطر سخرية :

من قال أننا سنخرج عن إطار السلام البارد يا سيدى ؛ ولكن إذا كان هناك من يغامر بإشعال هذا السلام الجليدى ، فعليه أن يتحمل النار التى ستشويه شيا .

وهب (القناص) واقفا وقد اشتعلت كل

خليه فى جسـده للعمل واقتحـام أرض العـدو ..
وقلعة الموساد .
أو كما اشتهرت بين كـل أجهـزة المخابرات فى
العالم بـ ..
(قلعة الرعب) .

* * *

اقرأ نهاية هذه المغامرة فى العـدد القـادم مـن (القناص) .



القناص
المحترف

٤ - عملية باروخ

- ترى لماذا لجأ أعظم عالم ذرة إسرائيلى إلى مصر.. مخاطراً بحياته فى رحلة هروب دامية ؟
- ولماذا جن جنون الموساد بتلك الهزيمة القاسية .. وأى أسرار رهيبة كان يحملها معه ، تهدد الأمن القومى الإسرائيلى ؟
- وكيف انقلب هدوء العاصمة اليونانية (أثينا) إلى جحيم.. وكيف سدد الموساد للمخابرات المصرية أقسى ضربة ؟



القاهرة : ١٠ شارع بستان الدكة من ش الألفى (مطابع سجل العرب) ت : ٩٣٢٧٠٦ - ص.ب : ١٣١٥ العتبة ١١٥١١
الجيزة : ١ شارع سوهاج من شارع الزقازيق - خلف قاعة سيد درويش بالهرم